

أثر القرآن الكريم في البناء المنهاجي للطفل (وحدة الرسالة أنموذجاً)

إعداد

شريف طه أحمد محمد

باحث دكتوراه في كلية الدراسات العليا للطفولة جامعة عين شمس

مستخلص الدراسة

تتناول هذه الدراسة نوعاً من (بناء الأطفال) لا ينشغل به - كما ينبغي - كثير ممن يعتنون بهم، وهذا البناء هو (البناء المنهاجي) والذي يعتبر من أهم وأخطر محاور بناء الأطفال؛ لأنه بمثابة (الأساس) الذي يبني عليه غيره، وبمثابة (النبراس) الذي يضيء الطريق لغيره، ويرشده، ويسدده، ويجوده.

ونقصد (بالبناء المنهاجي للطفل) عملية 'بناء المنهاج المُعينِ على (أحسن) تعامل وتواصل وتفاعل مع (مصادر المعرفة) المسطورة والمنظورة، النافعة والضارة، داخل المؤسسة التعليمية وخارجها"، وبلتقي بما يُسمى (عَادَاتِ الْعَقْلِ) في قِطَاعَاتٍ مِنْهُ؛ لكن المنهاج أمر أبعد وأقعد من مجرد اكتساب مجموعة مفاهيم أو مهارات أو اتجاهات؛ إنه (نظام) حاكم (ومنظومة) شاملة متكاملة من الأصول والقواعد التي تتجلى في صورة (طريقة) سليمة مستقيمة للسير في (طريق) المعرفة أو التعلم، وتشتمل تلك الطريقة على خبرات (مفاهيم ومهارات واتجاهات) تم بناؤها (بنظام وإحكام)، أما الطفل المقصود في دراستنا فهو الذي ينتمي للمرحلة العمرية (من السابعة إلى البلوغ).

وتناقش هذه الدراسة مشكلة (الغياب والاضطراب) الحاصل في (البناء المنهاجي للطفل) وأسباب ذلك وتجلياته وامتداداته وانعكاساته، كما تناقش بعض الإشكاليات الواقعية المتعلقة بالتحصين المنهاجي، (وأمان وارتزان) مصادر المعرفة التي يتعرض لها الطفل وأدوارها (التعليمية والتزكوية والبنائية).

وتفترض الدراسة أن (القرآن) طالما أنه (كلام الله)، الذي هو (أعلم) بالبشر من أنفسهم ومن كل أحد؛ وطالما أنه هو (أحسن) مصادر الإحياء، والشفاء، والبناء، والاهتداء، والارتقاء، وطالما أنه يهدي - في كل الميادين - للتي هي أقوم؛ ويأخذ بناصية كل إنسان لما هو أسلم وأحكم؛ فلا بد أن يكون هو (أحسن مصادر ووسائل وأدوات) البناء المنهاجي للطفل (صيانةً وصناعةً).

لذا تهدف الدراسة إلى بيان أثر القرآن الكريم في البناء المنهاجي للطفل علمياً وعملياً، ومفاهيمياً ومهارياً، ونظرياً وتطبيقياً، وتأصيلاً وتفعيلاً، وذلك في محورين: الأول: نظري تأصيلي، يتناول ماهية البناء المنهاجي، وأبرز آثار القرآن في البناء المنهاجي للطفل، والثاني: تطبيقي تفعيلي، يتناول مبادرة تطبيقية لتفعيل ما تم تأصيله، من خلال إحدى الوحدات التعليمية لمنهج المتدبر الصغير (وحدة الرسالة).

وتهدف الدراسة إلى أن تكون نواةً لمزيد من المبادرات لبناء كل الطلبة والطالبات، وأن تكون مُنطلقاً (لمشروع حضاري) بنائي يسهم في عودة الأمة للأُمجاد والرشاد، والأخذ بيد العباد إلى منهاج الهدى والسداد.

وخلصت الدراسة إلى أن (البناء المنهاجي) من (أهم وأخطر) ما ينبغي العناية به من ميادين بناء الطفل، كما خلصت إلى أن تعليم القرآن على منهاج النبوة هو (أحسن مصادر) بناء الطفل لا سيما (منهاجياً).

وأوصت الدراسة الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات بخوض غمار تجربة (البناء المنهاجي) للطفل من خلال (وحدة الرسالة)، بأنفسهم أو من خلال المتخصصين في ذلك، كما أوصت بضرورة أن يكون (الوحي)

هو (المصدر) الأول الذي (نرجع ونتحاكم) إليه (وننتقل) منه فيما يخص كل (أصول وتفاصيل)، (وحقائق ودقائق)، (ومفاهيم ومهارات)، (ومعالم ولوازم) بناء الأطفال.
الكلمات المفتاحية: قرآن - طفل - بناء - بناء منهجي.

Abstract

This study addresses a type of child construction that is often overlooked by many caregivers, known as (Methodological construction), which is one of the most critical and dangerous axes of child construction. It serves as the (foundation) upon which others are built and acts as a (beacon) that illuminates, guides, corrects, and refines the path for others.

Methodological construction for children means the process of “building a methodology that aids in the best possible interaction and engagement with written and visual sources of knowledge, both beneficial and harmful, within and outside educational institutions”. This intersects with what is called (habits of mind) in some aspects; however, a methodology is more complex than merely acquiring a set of concepts, skills, or attitudes. It is a governing system and a comprehensive integrated framework of principles and rules manifested as a correct and straightforward method for navigating the path of knowledge or learning. This method includes experiences (concepts, skills, attitudes) built systematically and precisely. The child in our study belongs to the age group (from seven years to puberty).

The study discusses the problem of absence and disturbance in children’s Methodological construction, its causes, manifestations, extensions, and reflections. It also addresses some practical issues related to Methodological immunization, the safety and stability of knowledge sources exposed to children, and their roles (educational, moral enrichment, and construction).

The study assumes that since the Quran is (the word of God), who knows humans better than themselves and everyone else; and since it is the best source of revival, healing, construction, guidance, and elevation; and since it guides in all fields to what is most upright; taking every person by the forelock to what is safest and most precise; it must be the best source and means for children’s Methodological construction (manufacturing and keeping).

Therefore, the study aims to demonstrate scientifically and practically the impact of the Holy Quran on children’s Methodological construction conceptually, skillfully, theoretically, and practically; rooting it deeply and activating it. This is done in two axes: The first is theoretical rooting, addressing the nature of Methodological construction and the prominent effects of the Quran on children’s Methodological construction. The second is practical activation, addressing an applied initiative to activate what has been

rooted through one of the educational units of "The Young Motaddaber Curriculum" (The Message Unit).

The study aims to be a nucleus for more initiatives to construct all students and to be a starting point for a civilizational constructive project that contributes to leading the nation back to glory and righteousness, guiding people towards the path of guidance and accuracy.

The study concludes that Methodological construction is one of the most important and dangerous aspects that should be cared for in child construction. It also concludes that teaching the Quran following prophetic methodology is the best source for constructing children's methodology.

The study recommends parents, male and female teachers to delve into the experience of children's Methodological construction through 'The Message Unit', either by themselves or through specialists. It also emphasizes that (revelation) should be the primary source we refer to and base our judgments upon concerning all principles and details; facts and subtleties; concepts and skills; landmarks and necessities of constructing children.

Keywords: Quran – Child – Construction – Methodological Construction.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد/
تحتل قضية (بناء وتعليم الأطفال) موقعاً مركزياً في بؤرة اهتمام الآباء والأمهات، والقائمين على شؤون المؤسسات والمجتمعات؛ غير أن تلك القضية البنائية التعليمية تُحف بها - في واقعنا - الكثير من الإشكاليات والتحديات الواقعية، وأبرزها في رأيي الإشكاليات والتحديات (المنهجية) على مستوى (الغياب أو الاضطراب).
وهذه الدراسة تتحدث عن نوع من (بناء الأطفال) لا ينشغل به - كما ينبغي - كثير ممن يعتنون بهم، وهذا البناء هو (البناء المنهجي) والذي هو من أهم وأخطر محاور بناء الأطفال؛ لأنه بمثابة (الأساس) الذي يبني عليه غيره، وبمثابة (النبراس) الذي يضيء الطريق لغيره، ويرشده، ويسدده، ويجوده، حين يشرع في (صناعة وصيانة) إنسان (الإيمان والعمران) الرياني، السابق الصادق في محاريب الأنسك والأخلاق (صلاً)، ومحاريب التنوير والتعمير (إصلاحاً).

ونقصد (بالبناء المنهجي للطفل) عملية "بناء المنهج المعين على (أحسن) تعامل وتواصل وتفاعل مع (مصادر المعرفة) المسطورة والمنظورة، النافعة والضارة، داخل المؤسسة التعليمية وخارجها"، ويُلقي بما يُسمى (عَادَاتِ الْعَقْلِ) في قِطَاعَاتٍ مِنْهُ؛ لكن المنهج أمر أبعد وأعمق من مجرد اكتساب مجموعة مفاهيم أو مهارات أو اتجاهات؛ إنه (نظام) حاكم (ومنظومة) شاملة متكاملة من الأصول والقواعد التي تتجلى في صورة (طريقة) سليمة مستقيمة للسير في (طريق) المعرفة أو التعلم، وتشتمل تلك الطريقة على خبرات (مفاهيم ومهارات واتجاهات) تم بناؤها (بنظام وإحكام).
وبينيك عن حجم تلك (الأزمة البنائية) أن أمر (البناء المنهجي للطفل) تجاوز (الغياب والاضطراب) إلى صنوف (الاندهاش والاستغراب) حين تحدث الناس عن ضروريته، أو تحاول أن تبرز لهم مظاهر أهميته، ولا يستشري ذلك

فقط بين غير المتخصصين من الآباء والأمهات في البيوتات، بل يحضر بقوة بين المتخصصين في المدارس والمؤسسات.

فرغم أن هناك مجهودات طيبة، ومحاولات صادقة لبناء الطفل (بدنياً)، وأخرى لبنائه (تعليمياً)، وأخرى لبنائه (نفسياً أو وجدانياً)، لكن هناك إهمال - وربما إغفال - لبنائه (منهجياً)، وإن نجونا من فخ الغياب والإهمال أو الإغفال وقعنا في شباك الاضطراب والخلل في الاشتغال، فالكثير من محاولات ومجهودات العناية (ببعض) معالم البناء المنهجي للطفل؛ (متفرقة)، (وغير ممنهجة)، ودون المستوى المنشود (كماً وكيفاً).

وفي هذه الدراسة نتناول أثر القرآن الكريم في البناء المنهجي للطفل علمياً وعملياً، ومفاهيمياً ومهارياً، ونظرياً وتطبيقياً، وتأصيلاً وتفعيلاً، وذلك في محورين: الأول: نظري تأصيلي، والثاني: تطبيقي تفعيلي. وتشتمل هذه الدراسة على (أصولٍ عاصمة، وقواعد حاكمة)، وخطوات عملية، وآليات تطبيقية خُرِجت من رُحْم (المكابدات) التعليمية والبنائية والمنهجية (للتحديات والإشكاليات) المتعلقة بالطفل انطلاقاً من كلام رب العالمين سبحانه وبحمده، على مناهج سيد المرسلين (p).

وأملاً أن تُشكّل هذه الدراسة (الوعوي)، وأن تُسدّد (السعي)، فيما يتعلق ببناء الطفل (كإنسان) على مستوى (الذات)، وبناء (الأوطان) على مستوى (البيوتات، والمؤسسات، والمجتمعات).

أولاً: أبرز أسباب اختيار الموضوع:

[١] أسباب شخصية تخص الباحث:

لَدَيّ وُلْعٌ شديدٌ واشتغالٌ لا بأس به لمدةٍ طويلةٍ بكل ما يخص (البناء والتزكية والتعليم)، وخصوصاً (منهجا التعليم وآلياته)، وخصوصاً ذاك المتعلق (بالأطفال)، وتنمية قدراتهم، ومهاراتهم، وتجويد حياتهم.

فلقد أكرمني مولاي سبحانه وبحمده - على غير استحقاقٍ مني - بتخصيصٍ في كل جوانب حياة الطفل الطبية (البدنية)، والنفسية (الوجدانية)، والتعليمية (العمرانية)، والإيمانية (الشرعية)، والبنائية المنهجية، وأكرمني بديارية (علمية وعملية) لا بأس بها في تلك المحاور، ولا أزعم أنني وصلت سقف (التخصص المُعمَّق) فيها مجتمعةً، لكن أحسب أن ما أكرم الله به يكفي لرؤية (شاملة متكاملة) للبناء الإنساني المنشود.

ونشاطي المتواضع في (التعليم، والتدريب، والتطوع، والتطبيب) - لسنواتٍ طويلة، في بقاع شتى - أوقفني على احتياجٍ شديدٍ لأنوية (مشاريع حضارية)، ومنتجاتٍ (بنائيةٍ تزكويةٍ) تُسدّدُ بها (الخلل)، وتُصلِحُ بها (الزلل).

فيلقيل من (التحليل) لِمَا كان يأتيني من تساؤلاتٍ واستشاراتٍ، وما كنتُ أُرصدته من إشكالياتٍ وتحدياتٍ، استبانت لي بوضوح أسباب (الخلل والزلل)، وعرفتُ نوعية (الحلول) وما ينبغي إنجازُه من العمل.

هناك عناية ببناء (الجدران) أكثر من العناية ببناء (الإنسان)، وإذا تمّ الانتشغال ببناء الإنسان انصرف معظم الجهد لبناء (الأبدان)، وهناك إهمالٌ واضحٌ لبناء (الإيمان والوجدان والعمران)، ومعظم أولئك الذين ينشغلون بتعليم وبناء الأطفال (عمرانياً)، يهملون بناءهم (منهجياً).

فأثناء اشتغالي (بالتطبيب) كنتُ أرى العناية الكبيرة ببناء الأطفال (بدنياً)، وأثناء اشتغالي (بالتعليم والتدريب) كنتُ أرى عنايةً كبيرةً أيضاً ببناء الأطفال (تعليمياً وعمرانياً)، لكنني كنتُ أرى كيف يعاني الأطفال من إهمال بنائهم (إيمانياً)، وكيف يعانون معاناةً خاصةً من إهمال بنائهم (منهجياً).

الأطفال ليست لديهم (مفاهيم ومعلومات) أو (مهارات وأدوات) أو (قواعد ومنظومات) تساعد في (تيسير وتحسين) التعامل والتواصل والانتفاع والاستمتاع بمصادر المعرفة (المسطورة والمنظورة) داخل المدرسة وخارجها.

ليس لديهم (مفاهيم ومعلومات) أو (مهارات وأدوات) أو (قواعد ومنظومات) لتيسير وتحسين (استمداد)

المُعَدِّيَات (رسائل ومصادر المعرفة النافعة) أو تيسير وتحسين (إبعاد) المُؤَدِّيَات (رسائل ومصادر المعرفة الصّارة).

وكان من محاولات إصلاح الخلل وعلاج الزلل، ما أكرمني به مولاي - سبحانه ويحمده - من إعداد منهج المتدبر الصغير (المنهاج البنائي التزكوي التعليمي الذي يرتكز على المنهاج النبوي في تعليم وتزكية وبناء الأطفال)، والذي فاقت إصدارته التأهيلية والتشغيلية الخمسين، وأشهرها (وحدة الرسالة)، وانتشر المنهج - بفضل الله - في كثير من بقاع العالم، وتعلمه ألوف الأطفال، واحتضنته أكاديميات ومؤسسات كثيرة داخل مصر وخارجها. وتلك (الخبرات) التعليمية والعملية (والتجارب) التطبيقية والعملية أوفقتني على (أدوار وأثار) البناء المنهاجي للأطفال، وما يحف به في واقعنا المعاصر من (إشكالات واقعية).

[٢] أسباب تتعلق بالموضوع المبحوث (حجم الإشكال وأبرز أسباب الاثغال):
(أ) الإشكالية (التعليمية المنهاجية)؛ "الأكثر خصوصية":

هناك أزمة (تواصلية) كبيرة بين أطفالنا وبين مصادر المعرفة (المسطورة والمنظورة) والمحتويات التعليمية (الإيمانية والعمرانية)، تسببت في (فجوة خطيرة) بينهم وبين التعلم أصلاً، أفرزت عند بعضهم (عزوفاً ونفوراً) عن التعلم، وأحدثت عند البعض الآخر (استقلاً وتقصيراً)، وفي رأيي أن أحد أبرز أسباب ما سبق هي: الغفلة عن أهمية (البناء المنهاجي) للطفل، وتزويده بالأدوات والمهارات المنهاجية التي تساعده على التعامل السليم مع مصادر المعرفة، وتجعل التواصل التعليمي أنفع وأمتع ما يكون.

نُطالب الأطفال بالتعلم والتطور؛ ومواكبة الأساليب التعليمية المناسبة للعصر، لكننا لا نبذل جهداً لائقاً في تزويدهم بالأدوات المنهاجية التي تساعدهم على ذلك! ويُعدُّ لهم مناهج تعليمية متميزة ومتطورة؛ لكننا لا نبذل جهداً كافياً لتزويدهم بتلك المهارات المنهاجية التي تساعدهم على الاستفادة المثلى من تلك المناهج!! ونوفر لهم مصادر متنوعة للمعرفة ما بين مسطورة ومنظورة، لكننا لا نجهزهم للانتفاع الكامل بتلك المصادر بينائهم منهاجياً!!!

نبذل مجهودات كبيرة لبناء الأطفال بديناً وجسدياً، لكننا نهمل بناءهم عقلياً ومنهاجياً!!! فمعظم الأطفال لا يعرفون أصلاً معنى المفاهيم المنهاجية المختلفة كالتعقل والتفكير والتدبر والاعتبار والاتباع، فضلاً عن أن تكون لديهم القدرة على استعمال تلك المهارات في ميادين التربية والتعليم المختلفة.

أطفالنا يحتاجون لمهارات (القراءة) مثلاً ليتمكنوا من التعلم والانتفاع بمصادر المعرفة، ويحتاجون لأساسيات (الحساب) للولوج إلى عوالم علوم الرياضيات والهندسة والتكنولوجيا وغيرها، وقد بذلنا مجهودات طيبة في هذه الأبواب، لكن أطفالنا يحتاجون أيضاً لمهارات مناهجية أخرى (ضرورية لكمال انتفاعهم واستمتاعهم بمصادر المعرفة كلها تقريباً) كمهارات التفهم، ومهارات التفكير، ومهارات القراءة التحليلية والتعليلية والتنزيلية، ومهارات التطبيق والتنفيذ، ومهارات الاستماع، وغيرها من المهارات، فأين مجهوداتنا لبناء تلك المهارات المنهاجية عند أطفالنا، وإمدادهم بها؟

أطفالنا لا يعرفون من مهارات التعامل مع مصادر المعرفة والمحتويات التعليمية (المسطورة) غير الحفظ والقراءة، لكنهم أبعد ما يكونون عن التفهم والتفكير والتدبر والتعقل، فضلاً عن التحليل والتعليل والتنزيل، وإن تفهموا، فهم أبعد ما يكون عن التطبيق والاتباع خصوصاً في العلوم الإنسانية، وحال أطفالنا مع مصادر المعرفة والمحتويات التعليمية (المنظورة) لا يختلف كثيراً، حيث ينحصر تفاعلهم في مجرد التسلي غير مبالين بالتأسي، وفي مجرد التفكك غير مبالين بالتفكير، وفي مجرد الانبهار غير مبالين بالاعتبار، وفي مجرد الاستمتاع غير مبالين بالانتفاع، ولم تؤثر تلك الأزمات فقط على علاقة أطفالنا بالمحتويات التعليمية (العمرانية)، بل أثرت تأثيراً بالغاً على علاقتهم بالمحتويات التعليمية (الإيمانية)، فأصبحت هناك أزمة في الجامعات والجوامع معاً وفي محاربي الإيمان والصلاة ومحاربي العمران والحياة.

(ب) الإشكالية (المعرفية الثقافية)؛ "أعمّ من التعليمية":

تتميز مصادر المعرفة لدى الأطفال بأنها تأتي من الميادين (الترفيهية) أو الإثرائية أو التوعوية، بالإضافة طبعاً إلى الميادين (التعليمية) والتأهيلية، وتحتوي مصادر المعرفة (البشرية) المسطّورة والمنظورة على أشياء (نافعة) إيمانياً أو عمرانياً (مُغذيات)، لكن يُحتمل أن تحتوي أيضاً على أشياء (ضارة) إيمانياً أو عمرانياً (مؤذيات).

ويمكننا رصد ثلاثة إشكالات منهجية تتعلق بمصادر المعرفة بشكل عام:

- الأول على مستوى (المصدرية): فالكثير من المنتشر في مجتمعاتنا مصدره بيئة غير بينتنا، وهوية غير هويتنا، وربما كانت عقيدة مصادمة لعقيدتنا، ولذلك تظهر فيه إشكالات متعلقة (بالاستكفاء والاستغناء)، (وبقاء الاستقاء)، و(بالاستقصاء والاستقراء) في مواجهة (الانتقاء).
 - الثاني على مستوى (الصحة والصلاحية): فالكثير من مصادر المعرفة اليوم يفنقر إلى معايير الصحة والصلاحية الفكرية والنفسية والاجتماعية الخاصة بالأطفال، ولا يخفى ما يكتنف الكثير منه من مظاهر نقصان الأمان والاتزان.
 - الثالث على مستوى (المنهجية): فالمنهاج الذي يُتعمّل به مع مصادر معرفة الطفل اليوم يطغى في معظمه الاستمتاع على الانتفاع، والجمال على الكمال، والتسلي على التأسّي، والانبهار على الاعتبار، والتفكه على التفكير، كما يغيب في معظمه (التعاقب) بين العلم والعمل، والصلاح والإصلاح.
- ومن يعرف الأطفال جيداً سيلاحظ أن لديهم إشكال في (التعقل) أو (التمييز) بنوعيه: (التعقل العلمي التبصري) أو تمييز (الفهم والإدراك)، و(التعقل العملي التصري) أو تمييز (العزم والضبط والإمساك)، ويظهر ذلك الإشكال في صورٍ ومستوياتٍ متنوعة من الغياب أو الاضطراب:

- فقد (لا يفهم) الطفل ولا يدرك مكن (الخطر والضرر) في (محتوى تعليمي أو إعلامي) يتم تقديمه له، وإن فهمه وأدركه وتبصّر، فإنه لا ينضبط ولا يُمسك ولا يتبصر، فيستهلك ذلك المحتوى مع علمه وتبصره بأضراره وأخطاره.
- وعلى العكس، فقد (يفهم) الطفل ويدرك ويتبصر بمكن (الخير والبر) في (محتوى تعليمي أو إعلامي أو أدبي) يتم تقديمه له، لكن لا يتوفر لديه من العزم والتبصر ما يجعله ينضبط ويُمسك عن الإهمال ويشرع في الاستعمال.

(ج) الإشكالية (الحضارية الفرّقانية)؛ "أعمّ من التعليمية والمعرفية":

لا يخفى مكر الليل والنهار وحجم الإفساد الذي يتعرض له أطفالنا اليوم من خلال وسائل الإعلام وشبكات التواصل في ذلك العالم المفتوح؛ والتي تغرس في (عقول وقلوب) أطفالنا أموراً كارثية، جعلتنا نسمع ونرى انحرافات فكرية وسلوكيات وتطرفات عقديّة، غريبة على ثقافتنا وبيئتنا، ما كنا نتخيل أن تصدر عن الأطفال. ولم يقتصر الأثر السلبي لتلك الانحرافات على أداء الطفل وتميزه الظاهر في محارِب الأُنسك والأخلاق، وإنما وصل لأعماق الأعماق، وأصبحت الانحرافات (الفكرية والسلوكية) أداة تهديد لسلامة واستقامة الإيمان والوجدان والعمران، وأمان المجتمعات والأوطان.

وأطفالنا - في هذا العالم المفتوح - أصبحوا (ميدان صراع حضاري بيننا وبين أعدائنا)، حيث أمطر أعداؤنا أطفالنا بوابل من الشهوات والشبهات وفساد وتافه القدوات، ونجحوا - على حين غفلةٍ منا - في غزونا في بيوتنا، وسرقة أطفالنا منّا، بمحض إرادتنا، بل وربما بأموالنا.

والعجيب أننا أصبحنا نعتمد - في تلبية احتياجاتنا وسد ثغراتنا ومواجهة تحدياتنا - على أعدائنا، والمصيبة الأكبر أننا لم يقتصر اعتمادنا عليهم على ما يخص (الأبدان)، لقد أصبحنا - تقريباً - أكبر مستهلك لِمَا

ينتجونه مما يخص (الأفكار والإيمان والوجدان)، دونما أدنى تَقَفُّدٍ أو تمحيصٍ لِمَا يتم تقديمه لنا؛ وكأن الذين أنتجوا تلك المنتجات والأعمال (الأدبية والتعليمية) هم (بقية الصحابة الكرام ٧).
لقد نجح أعداؤنا في (سرقة أطفالنا) - للأسف الشديد - وأوقعوهم في لون جديد من (الأسر) يغفل عنه كثير من المسلمين الصالحين، بل حتى كثير من المصلحين، وأصبحوا هُم مَن يُشكّلون العقل الباطن لأطفالنا، ويعملون على إفساد (الأفكار والتصورات) تمهيداً لإفساد (السلوكيات والتصرفات)، فيقومون بتمرير كثير مما يريدون تمريره من خلال أطفالنا، وتدمير ما يريدون تدميره من فطرة صغارنا، بل وبناء وتشكيل عقائدهم وأفكارهم ومفاهيمهم وفق ما يريدون، والطامة الأكبر - كما أسلفنا - أننا قد نباشر بأيدينا وأموالنا تنفيذ مخططاتهم في أطفالنا، وأكبر تلك الطوام على الإطلاق، أن البعض يتوهم أنه بذلك يحسن لأطفاله، ويأخذ بأيديهم نحو التقدم والرقي.

وهذه ليست دعوة للبعضاء، أو الكراهية، أو التكلف أو التعسف أو التطرف، أو تغليب نظرية المؤامرة، وإنما هي دعوة للتيقظ، والتعقل، والوعي؛ لكيلا يتم استغلالنا وإلحاق أي لونٍ من الأذى ببنائنا للإنسان أو الأوطان؛ ولكيلا يتم اتهامنا بالتكلف أو التعسف أو التطرف أو النظرة الأحادية غير الموضوعية، سأحدث بإيجاز عن مثال واحد، وهو القصص الأسطورية (الخرافية)، وانتظار الحلول الحاملة الخيالية غير الواقعية.
تُرسِّخ بعض تلك الأعمال الأدبية والفنية في وجدان أطفالنا أن الحل لن يكون إلا في أن يكون لديه مصباح كمصباح علاء الدين، أو بساط كبساط السندباد، أو قدرة على الطيران كسوبر مان، وبما أن ذلك لا يوجد أصلاً في الحقيقة، يتسبب ذلك الطرح في أن يعيش الطفل في عالمٍ خرافيٍّ بعيدٍ عن الواقع، ويُسخر كل طاقاته لتحصيل تلك القدرات الأسطورية الخرافية، فينشغل بالوهم والخرافة عن العلم والثقافة.

ومع الاصطدام بالواقع الحقيقي، تبدأ رحلة خوفٍ أنوار الهمة والنشاط، ورحلة المعاناة من الفشل والإحباط، ويقف الطفل دوماً عاجزاً أمام مشكلاته؛ لأنه لا يملك ذلك الحل السحري الذي ترسخ في وجدانه أن حل مشاكله لن يتم بدونه أو على الأقل بمساعدته، ومع التهويل الشديد والنظرة غير العلمية الموضوعية للقدرات التكنولوجية، والمجهود الذي يتم بذله دوماً لتصدير صورة مثالية، يقع أطفالنا فريسةً سهلةً للهزيمة النفسية، ويصبحون أرضاً خصبةً للشعور بالعجز والدونية، وهو عين ما يريده أعداؤنا من الأجيال القادمة.
فأنتى لطفل تم تدمير مفاهيمه فأصبح لا يرى الحل إلا في القدرات السحرية أن يسعى في حل مشكلاته الشخصية أو مشكلات أمتة الحضارية!!؟

وقد كان من المتوقع - في ظل هذه الظروف التي نحياها الآن - أن يدرك القائمون على بناء الطفل وتعليمه خطورة الموقف الذي نحن فيه في هذا الزمان، وأن يستقرغوا وسعهم في البناء المنهجي للطفل على صراط سليمٍ مستقيم، ونظامٍ حكيمٍ قويم، إلا أن الأمر لم يكن كذلك - للأسف الشديد - بل أهملت كثيرٌ من البيوتات والمؤسسات البناء المنهجي للطفل؛ فأصبحوا - وهم لا يشعرون - كأنما يقدمون أطفالهم هدية مجانية لأعدائهم.

ثانياً: مشكلة الدراسة:

تناقش هذه الدراسة مشكلة (الغياب والاضطراب) الحاصل في (البناء المنهجي للطفل) وأسباب ذلك وتجلياته وامتداداته وانعكاساته، كما تناقش بعض الإشكاليات الواقعية المتعلقة بالتحصين المنهجي، (وأمان واتزان) مصادر المعرفة المختلفة التي يتعرض لها الطفل وأدوارها (التعليمية والتزكوية والبنائية).
وقد تبدو مشكلة الدراسة للوهلة الأولى مشكلةً نظرية أو فلسفية يتم عرضها بنوع من التهويل أو التضخيم؛ لكن بقليل من التفكير في تجلياتها وامتداداتها سيتضح بجلاء أنها مشكلة عملية واقعية تتعرض للتهوين والتزخيم.

فلسنا أمام مشكلةٍ سطحيةٍ عادية، نحن أمام مشكلة في (البنية التحتية) والجذور التكوينية، مشكلة تتعلق بالتصورات الحاكمة والضابطة للتصرفات، والأفكار الحاكمة والضابطة للأفعال، والمعتقدات الحاكمة والضابطة للسلوكيات، والمفاهيم الحاكمة والضابطة للمهارات، نحن أمام مشكلة (المشكلات)، ومعضلة (المعضلات)، وأزمة (الأزمات)، لأنها قضية (مركزية) حاكمة وضابطة لغيرها من الأمور (الفرعية)؛ فالخلل فيها أشبه بالخلل في الجهاز العصبي (المركزي) الحاكم والضابط للجهاز العصبي (الطرفي) وللجسم كله.
ثالثاً: أبرز أسئلة الدراسة:

- ما (البناء المنهجي) للطفل؟ وما ماهيته وحقيقته؟ وما مظاهر أهميته؟
- ما هي إشكاليات البناء المنهجي للطفل؟ وما تجليات وامتدادات وانعكاسات تلك الإشكاليات؟
- ما أحسن روافد ومصادر البناء المنهجي للطفل؟
- ما أبرز آثار وأدوار القرآن في البناء المنهجي للطفل؟
- كيف تسهم نماذج الوحي البنائية المسطورة في البناء المنهجي للطفل؟
- كيف يمكن تقديم محتوى تعليمي (مركّز على الوحي) يسهم في البناء المنهجي للأطفال يراعي خصائصهم واحتياجاتهم؟
رابعاً: فروض الدراسة:
- تفترض الدراسة أن الطفل طالما أنه قابل - بل ومتفاعل - للبناء (بديناً) وخارجياً، فهو كذلك قابل للبناء (منهجياً) وداخلياً، كما تفترض أن البيوتات والمؤسسات والمجتمعات التي نجحت - بفضل الله - (علمياً وعملياً) في بناء (الجدران)، وبناء (الأبدان)، ستتجح - بعون الله - (علمياً وعملياً) في بناء الإنسان (منهجياً) على مستوى (الإيمان والعمران)؛ لأن ربنا - سبحانه ويحمده - كما أن له سنناً لا تتبدل ولا تتحول في (الأكوان)، له كذلك سنن لا تتبدل ولا تتحول في (الإنسان)، ولا يمكن أن يحيا إنسان - أياً كان - بلا منهج، ولو زعم أنه ليس لديه منهج فلدیه منهج (اللامنهج) أو منهج (الاعوجاج)؛ لأن المنهج ضرورة حياتية ومسألة وجودية، ولو لم يتعرض (منهجياً) لعملية (بناء)، سيعاني من الفوضىّة، ويتخبّط خبط عشواء.
- وتفترض الدراسة أن ذلك الإنسان الذي أكرمه الله بالنجاح في مجال مصادر المعرفة على مستوى الإنتاج والإخراج، يستطيع بعون الله أن ينجح أيضاً في مجال مصادر المعرفة على مستوى تسديد وتجويد وترشيد استعمالها كوسيلةٍ ومعراج، وأن ينجح على مستوى ضبط صحتها وصلاحيّتها وأمانها واتزانها وغيرها من لوازم استقامة المنهج.
- وتفترض الدراسة أن (القرآن) طالما أنه (كلام الله)، الذي هو (أعلم) بالبشر من أنفسهم ومن كل أحد؛ وطالما أنه هو (أحسن) مصادر الإحياء، والشفاء، والبناء، والاهتداء، والارتقاء، وطالما أنه يهدي - في كل الميادين - للتي هي أقوم؛ ويأخذ بناصية كلِّ إنسانٍ لما هو أسلم وأحكم؛ فلا بد أن يكون هو (أحسن) مصادر ووسائل وأدوات) البناء المنهجي للطفل (صيانةً وصناعةً).
- خامساً: حدود الدراسة:
- الحدود الموضوعية: سيتركز اهتمامنا على بناء الإنسان لا الجدران، وخصوصاً البناء الإيماني العمراني لا الجُسُماني، وخصوصاً البناء المنهجي، كما سينصب اهتمامنا على ما يخص مصادر المعرفة المسطورة والمنظورة التي يتم تقديمها داخل المؤسسة التعليمية وخارجها.
- الحدود الزمانية والمكانية: ليس للدراسة محددات زمانية أو مكانية معينة.

- الحدود الإنسانية: الطفل المقصود في دراستنا هو الذي ينتمي للمرحلة العمرية (من السابعة إلى البلوغ)^١، دون تمييز بجنس أو عرق أو لون أو أحوال اقتصادية أو اجتماعية.
 - سادساً: أبرز أهداف الدراسة:
 - ✍ يمكننا أن نَصِفَ أهدافَ الدراسة (إجمالاً) بأنها: علمية (تأصيلية) عملية (تطبيقية)، تركز على (محورين):
 - ③ الأول: محور (التحليل)، والذي يتم فيه التفكير في الإشكال والحال (الأقوال والأعمال والخلال) والمآل، مما يعين على التعليل والتحديد الدقيق العميق للواقع (الموجود)، واستبانة (المفقود).
 - ③ الثاني: محور (الحلول)، والذي يتم فيه محاولة التأصيل والتنزيل والتفعيل للحلول العميقة القائمة على ساق التحليلات الدقيقة، مما يعين على تحديد الموقع (المنشود)، وتحديد وترتيب (الجهود).
 - ✍ أما أبرز الأهداف على التفصيل، فيمكننا إجمالها في التالي:
 - محاولة تشكيل (الوعي) وتسديد (السعي) فيما يتعلق ببناء الأطفال، وبيان (أصول عاصمة، وقواعد حاكمة) خَرَجَتْ مِنْ رَجْم (المكابدات) التعليمية والبنائية والمنهجية (للتحديات والإشكاليات) المتعلقة بالطفل انطلاقاً من كلام رب العالمين سبحانه وبحمده، على منهاج سيد المرسلين (ﷺ).
 - البيان العلمي (التأصيلي) العملي (التطبيقي) (للبناء المنهجي للطفل) على مستويات متعددة.
 - محاولة رصد أبرز الإشكاليات والتحديات المتعلقة بالبناء المنهجي للطفل وأسباب (الخلل والزلل).
 - إبراز حجم معاناة الأطفال من إهمال بنائهم (منهجياً).
 - اقتراح (الحلول) العملية التطبيقية لمشكلات الأطفال البنائية المنهجية.
 - إبراز ضرورة التحصين المنهجي للأطفال من خلال تفعيل (الجمارك) أو (المحاكم) المنهجية.
 - إبراز الحاجة الشديدة لأنوية مشاريع حضارية، ومنتجات بنائية تزكوية نسد بها الخلل، ونصلح بها الزلل.
- سابعاً: أهميّة الدراسة:
- أنها تتعلق بالقرآن (أهم وأعظم وأنفع وأقوم) خطاب في الوجود، والذي نعظمه جميعاً، ونتمنى لأنفسنا وأطفالنا أن نكون أسعد الناس به، وقد تسهم الدراسة في تعميق وتوثيق صلتنا وصلة أطفالنا به؛ وتيسير وتحسين الانتفاع به.
 - أنها قد تسهم في تعزيز حبال الوصال بين القرآن وبناء الإنسان؛ وتوجيه الأنظار لتوسيع دائرة الانتفاع بعباءات القرآن وهداياته المنهجية في الميادين البنائية والحضارية والعمرانية المختلفة.

^١ في سنن الترمذي (٤٠٧) وصححه شاکر والألباني أن النبي (ﷺ) قال: "[عَلِّمُوا] الصَّيِّ [الصَّلَاةَ] ائِنَّ سَعِ سِنِينَ"، وفي رواية في صحيح الجامع (٤٠٢٥) ذَكَرَ (التعليم) مطلقاً دون تقييده؛ فقال: "[علموا] الصي ابن سبع سنين"، ومن أهم ما يشير إليه الحديث الوصية بأن يكون البدء بالتعليم (المنظم المقصود) مع بداية السابعة، وفي رأي أن القياس على الصلاة في (التعليم والتزكية أو التربية)، هو أقوى وأوثق ما نستند إليه، لأنه ليس هناك شيء أهم في الدين أو الحياة من الصلاة (بعد الإيمان والتوحيد طبعاً)، وأنا أتحدث طبعاً عن التعليم أو التدريب (المنهج المنظم المقصود)، الذي تُوضع له مناهج وبرامج ينتظم فيها الطفل.

- أنها تتعلق بالأطفال، ولا تخفى أهميتهم كمخزون استراتيجي؛ لذا فهم محط رعاية وعناية كل فئات المجتمع.
- أنها تتعلق بجانب مهم جداً من جوانب حياة الطفل، ألا وهو البناء والتحصين المنهجي، والذي يؤثر في مستقبله، ويؤثر على تميزه في محاريب الحياة، وبالتالي يؤثر على تقدم المجتمعات ونهضة الأوطان.
- أنها تتناول مسألة تشغل كل من يتعامل مع الأطفال، وينفقون لأجلها الأوقات والمجهودات، ألا وهي مسألة البناء والتربية والتعليم، والسلامة والاستقامة الفكرية والمنهجية.
- أنها تتناول مسألة مهمة مخصوصة، هناك تقصير في تناولها رغم أهميتها، ألا وهي مسألة البناء المنهجي، وآليات التحصين المنهجي، وتسهم في رصد حجم وأنواع الآثار السلبية الفعلية لإهمال البناء المنهجي والحصانة المنهجية في واقع الأطفال، وتبرز حجم معاناة الأطفال من إهمال بنائهم (منهجياً).
- أنها ترصد أبرز الإشكاليات والتحديات المتعلقة بالبناء المنهجي للطفل وأسباب (الخلل والزلل).
- أنها تسهم في توفير قدر من المعلومات والمنهجيات والبيانات التفصيلية للمهتمين بالأطفال فيما يختص ببناء الطفل وتعليمه بشكل عام، وما يختص بالبناء والتحصين المنهجي بشكل خاص.
- أنها قد تسهم في فهم ومكافحة الآثار السلبية لإهمال البناء المنهجي والحصانة المنهجية للأطفال، بتزويد المهتمين بالأطفال بحلول علمية عملية في متناولنا؛ ولا تكلفنا.
- أنها ترسم معالم السبيل الأمثل والمنهاج الأكمل لمواجهة وترويض الطوفان الماكر والسيول الهادر من (المؤذيات والمهددات) لأطفالنا، سواء كانت في اتجاه (التطرف والتشديد) أو اتجاه (التميع والتبديد).
- أنها تسهم في استثمار مرحلة الطفولة استثماراً جاداً، وتسهم في تجويد حياة الأطفال، وتساعد القائمين على المؤسسات المعنية ببناء وتعليم الأطفال على صياغة رؤية تعليمية متميزة تحقق الأهداف البنائية.

ثامناً: منهج الدراسة:

لم يمكنني اعتماد منهج واحد في هذه الدراسة؛ لأن طبيعتها تستلزم في بعض المباحث أن أعتمد المنهج الوصفي أو المسحي بصورة أكبر، وفي أخرى أن أعتمد المنهج التحليلي أو (التجريبي)، رغم أنه قد يندر أن يكون مبحث من مباحث الدراسة أو فصولها قد اقتصر على منهج واحد، فقد احتجنا للمزج والتنقل بين المناهج.

حرصتُ على مراعاة القواعد البحثية المتعارف عليها في الاستشهاد والعزو؛ والتزام الصحيح من الأحاديث، وتجنب الخوض في تفاصيل المسائل الخلافية الجدلية، والعناية بالمسائل العملية التطبيقية الواقعية، وغيرها. تأسعاً: الدراسات السابقة:

لم أقف - في حدود علمي وإطلاعي - على دراساتٍ تخصصت في البيان العلمي (التأصيلي) العملي (التطبيقي) لموضوع البناء المنهجي للطفل وأثر القرآن فيه بطريقةٍ شاملة متكاملة، فهناك دراسات كثيرة تناولت حديثاً حول (الأطفال) أو (البناء) أو (المنهاج) أو (أثر القرآن) لكنها تناولت تلك العناوين من زوايا مختلفة عن الزوايا التي تناولنا منها الأمر هنا.

عاشراً: ملخص خطة الدراسة:

اقتضى ما سبق أن تكون خطة البحث (إجمالاً) كما يلي:

- مقدمة (تجريبية): اشتملت على النقاط المتعارف عليها في المقدمات كأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، ومحدداتها، ومنهجها، وغيرها.
- خاتمة (تعريزية): اشتملت على أبرز النتائج والتوصيات.
- فصلان، بيانها كالتالي:

- الأول: الإطار التطويري (التأصيلي)؛ واشتمل على مبحثين:
 - الأول: معنى وماهية البناء المنهاجي، واشتمل على مطلبين:
 - الأول: خلاصة المقصود (بالبناء) والمقصود (بالمنهاج).
 - الثاني: تحرير المقصود بالبناء المنهاجي.
 - الثاني: أبرز آثار القرآن في البناء المنهاجي للطفل، واشتمل على مطلبين:
 - الأول: أحسن المصادر.
 - الثاني: النماذج البنائية المنظورة.
 - الثاني: الإطار التطبيقي (التفصيلي)، واشتمل على مبحثين:
 - الأول: المحور (التأصيلي) لوحدة الرسالة، واشتمل على مطلبين:
 - الأول: حاجة الطفل (للعقل والتعقل).
 - الثاني: حاجة الطفل لأن يكون (لبيياً).
 - الثاني: المحور (التفصيلي) لوحدة الرسالة، واشتمل على مطلبين:
 - الأول: مكوّنات وحدّة الرّسالة والأهداف التّعليميّة لفُصولها.
 - الثاني: الأسلوب والنظام التّعليمي المُعتَمَد في وحدّة الرّسالة.
- الفصل الأول: الإطار التطويري (التأصيلي)
المبحث الأول: معنى وماهية البناء المنهاجي
المطلب الأول: خلاصة المقصود (بالبناء) والمقصود (بالمنهاج).
الفرع الأول: خلاصة المقصود (بالبناء).

[١] البناء في (الواقع) والاستعمال المُتداول:

كلمة (بناء) وما يُشتق منها حين تُذكر في واقعنا الحاضر، تتصرف الأذهان فوراً إلى بناء (الجدران) أو (العمران) المادي، وأصبحت كل طاقات الناس (العلمية والعملية) مصروفة لهذا النوع من البناء، فإذا ذُكرت لبعضهم بناء (الإنسان) نظر إليك باندعاش قائلاً: ما علاقة البناء بالإنسان؟ أتريد أن تُقيّمه مقام (الجدران)؟ وهناك من يستعملون كلمة (بناء) ومشتقاتها في بناء (الإنسان)، لكننا حين نتأمل في دلالة الكلمة الواقعية، نجدتها تحكي صوراً صارخة من (الفوضوية والعشوائية)، رغم أنهم يوقنون أن البناء يحتاج بشدة (لمنظومة منهاجية)، ونجدهم يلتزمون بذلك في أبنيتهم (العمرائية).

وأولئك الأفاضل الذين نجوا من فخ حصر الاستعمال في بناء (الجدران) على حساب بناء (الإنسان)، وقع الكثير منهم في فخ حصر الاستعمال في بناء (الأبدان) على حساب بناء (الإيمان)، فاستعمال كلمة (بناء) ومشتقاتها - في واقع الناس اليوم - مستغرب في عالم (بناء الإنسان)، وأكثر منه غرابية - بالنسبة لهم - الاستعمال في باب (بناء الخلق والإيمان)، وغرابية تستغرب منها الغرابية - بالنسبة لهم - الاستعمال في باب (البناء المنهاجي) للبنات والصبيان.

[٢] البناء في (الاستعمال التربوي المعاصر):

حاولتُ تتبع كلمة (البناء) ومشتقاتها في الأدبيات والمراجع التربوية، فوجدت أن استعمالها في (بناء الإنسان) نفسه قليل للغاية، ويؤثرون عليها ألفاظ أخرى كالتعليم والتدريس والتربية وغيرها، ولها استعمال واسع في باب إعداد

المناهج التعليمية أو تصميم البرامج والمواقف التربوية؛ فيقولون "بناء منهج كذا"، ويقولون: "بناء الموقف أو البرنامج التربوي أو التعليمي الفلاني"، ونجد استعمالاً على نطاقٍ أوسع لكلمة (بناء) ومشتقاتها في ميادين التنمية البشرية، والاستشارات الأسرية، وما على شاكلتهما من الميادين، وينتشر في المجالات الفكرية والفلسفية للتربية المعاصرة ما يسمى (بالبنائية) كنظرية واتجاه؛ لكنها تتجه إلى فلسفة مختلفة عما نحن بصده.

جاء في المعجم الفلسفي (ص: ٣٤): "بنيان: ما تكون عليه أجزاء الكل ماديةً كانت أو معنوية بحيث تتضمن فيما بينها وتكون كلاً قائماً بذاته ... بنيانية: اتجاه ينصب على دراسة العناصر الكلية أو أحداث التاريخ الكبرى ... ويطبق في الدراسات اللغوية والسيكولوجية والتاريخية"، وجاء في معجم المصطلحات التربوية والنفسية (ص: ٨١، ٨٥): "البنيائية: رؤية في نظرية التعلم ونمو الطفل، قوامها أن الطفل يكون نشطاً في بناء أنماطه التفكيرية نتيجة تفاعل قدراته الفطرية مع الخبرة ... بنية/تركيب: تعني كيان الشيء أو مجموع مكوناته وصفاته من حيث علاقة بعضها ببعض"

[٣] البناء في (اللغة):

الْبَاءُ وَالْوَنُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بِنَاءُ الشَّيْءِ بِضَمِّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ^٢، والبنيان: وضع شيءٍ بترتيبٍ خاصٍ ... وقوله: {أفمن أسس بنيانه} [التوبة: ١٠٩] استعارة بديعة، وذلك أن الأمر الذي يربيه الإنسان من دينٍ واعتقادٍ إنما يربيه على نظرٍ وتأمّلٍ، ووضع شيءٍ فشيءٍ، وهذا أشبه شيءٍ بالبناء^٣، والمعنى المحوري هو: زيادة قوية تنشأ للشيء فتقيمه وتتصبه أو تعظمه وتمد جرمه ... والبناء ... إنشاءً ونصبٌ لجدران وبيوت وإقامتها على أساس ... وقد ورد بناء السماء في القرآن الكريم سبع مرات ... لِمَا في البناء من ارتفاع واضح^٤، يقول الكوفي: "البناء لغة: وضع شيءٍ على شيءٍ على صفة يُراد بها الثبوت"^٥.

وعن علاقة الأبناء بالبناء، يقول الراغب عن لفظة (ابن): "سمّاه بذلك لكونه بناءً للأب، فإن الأب هو الذي بناه، وجعله الله بناءً في إيجاده، ويقال لكل ما يحصل من جهة شيء، أو من تربيته، أو بتفقدته، أو كثرة خدمته له، أو قيامه بأمره، هو ابنه، نحو: فلان ابن الحرب ... وابن الليل، وابن العلم"^٦، أما دكتور جبل فيري أن الأمر متعلق بالامتداد والإقامة؛ فيقول عن (الابن): "هو امتداد لأبيه ناشئ منه، يمد ذريته وبقيمها"^٧.

^٢ مقاييس اللغة (١/ ٣٠٢).

^٣ عمدة الحفاظ (١/ ٢٣٥).

^٤ المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ١٨٠).

^٥ الكليات (ص: ٢٤١).

^٦ المفردات (ص: ١٤٧)، ووافقه السمين الحلبي في عمدة الحفاظ (١/ ٢٣٥).

^٧ المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ١٨١).

واستعمل العرب مادة (بنى)^٨ في ميادين شتى، ومن أمثلتها: البُنْيُ: نَقِيضُ الهَدْمِ ... والعَلَمُ المُبْنَى، أي: القَصْرُ المُبْنَى المُشِيدُ ... والبُيُوتُ الَّتِي تُسْكُنُهَا العَرَبُ فِي الصَّحْرَاءِ ... البِنْيَةُ: الكَعْبَةُ ... والمَبْنَاءُ مِنْ أَدَمَ كَهَيْئَةِ القُبَّةِ تَجْعَلُهَا المَرَأَةُ فِي بَيْتِهَا أَوْ حَصِيرًا أَوْ نُطْعَ يَسُطُّهُ النَّاجِرُ عَلَى بَيْعِهِ ... وَبَنَى فُلَانٌ عَلَى أَهْلِهِ أَوْ بِأَهْلِهِ ... وَاسْتَعْمَلَ أَبُو حَنِيفَةَ البِنَاءَ فِي السُّفُنِ ... وَبَنَى البَيْتَ عَلَى بَوَانِيهِ، أي: عَلَى قَوَاعِدِهِ ... وَاسْتَبْنَتِ الدَّارُ: تَهَدَمَتْ وَطَلَبَتْ البِنَاءَ ... وَقَوْسٌ بَانِيَةٌ: بَنَتْ عَلَى وَتَرِهَا، إِذَا لَصِقَتْ بِهِ حَتَّى يَكَادَ يَنْقَطِعُ ... وَبَنَى الرَّجُلُ: اصْطَنَعَهُ، وَكَذَلِكَ ابْتِنَاهُ ... وَبَنَى الطَّعَامُ لَحْمَهُ: أَثْبَتَهُ ... وَفُلَانٌ صَحِيحُ البِنْيَةِ، أي: الفِطْرَةُ ... وَبَنَّا فِي الشَّرْفِ، أي: ارتفع ... وَبَنَى مَكْرَمَةً وَابْتَنَاهَا ... وَبَنَى كَلَامًا وَشِعْرًا، وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ المَبَانِي ... وَبَنَى عَلَى كَلَامِهِ: احْتَدَاهُ ... وَكُلُّ شَيْءٍ صَنَعْتَهُ فَقَدْ بَنَيْتَهُ ... وَهَذِهِ مِنْ بَنَاتِ فِكْرِي ... وَغَلَبْتِي بَنَاتِ الصَّدْرِ وَهِيَ الِهْمُومُ ... وَبَنَاتٌ لَيْلُهُ صَوَادِقٌ، وَهِيَ أَحْلَامُهُ ... وَأَصَابَتُهُ بَنَاتُ الدَّهْرِ وَهِيَ النُّوَابِثُ ... وَوَقَعَتْ بَنَاتُ السَّحَابَةِ بِأَرْضِهِمْ، وَهِيَ البَرْدُ ... وَأَبْصَرْتُ ابْنَ المَرْزَنَةَ وَهُوَ الهَلَالُ.

انطلاقاً من الاستعمالات اللغوية، وكلام أئمة اللغة البناء هو (عملية عناية ورعاية بترتيب ونظر، وعلى أساس، في صورة صم شيء لشيء، أو وضع شيء على شيء، أو زيادته، بغرض إقامته ونصبيه ومدّه ورفعه)^٩.

- فلاحظ في العملية البنائية (لغويًا) أبعاد (العناية والرعاية والاهتمام)، وأبعاد (النظر والترتيب والنظام)، وأبعاد (التأسيس والإحكام)، وأغراض (الزيادة والإقامة والمدد ورفع المقام).
- معظم استعمالات لفظة البناء في لغة العرب، تنصرف إلى بناء (الجدران والحيطان) أو بناء (الجتان والأبدان)، وهناك استعمالات (مجازية) في بناء (الإنسان)، ومعظمها ينصرف إلى (السمن وبناء الأبدان)، وهناك استعمالات (مجازية) أخرى في بناء (المكارم) وبناء (الكلام) وغيرها.
- ورغم أن (استعمالات) مادة (بنى) فيما يخص بناء (الإنسان) ربما تبدو - في الظاهر - قليلة بالمقارنة بتنوع ميادين استعمالها فيما يخص بناء (الجدران أو الحيطان)، لكن (الوزن النسبي) لاستعمال المادة في بناء (الإنسان) يرتفع ارتفاعاً كبيراً جداً باستعمال المادة في التعبير عن البنية (الابن، والبنت، والأبناء، والبنون، وغيرها)، بل ربما يزدحج ذلك كفة بناء (الإنسان)، فلا شك أن استعمال تلك الكلمات كان أكثر من غيرها.

[٤] البناء في (القرآن):

- معظم استعمالات لفظة (البناء) في القرآن تنصرف إلى بناء (الجدران أو الأكوان)، أما بناء (الإنسان) وبناء (أعمال الإنسان) فإنه لم يذكر (صريحاً) بالمنطوق، وإنما تمت الإشارة إليه (تلميحاً) بالمفهوم.
- وقد يتوهم للوهلة الأولى أن بناء (الإنسان) لم يأت الحديث عنه في (القرآن)؛ وذلك لأن المواطن التي جاء فيها (البناء) تتحدث (في ظاهرها) عن (بناء الجدران)، لكننا نؤكد أن بناء الإنسان وإن لم يتم ذكره

^٨ تهذيب اللغة (٣٥٣/١٥)، الصحاح (٢٢٨٦/٦)، المحكم والمحيط الأعظم (٤٩٩/١٠)، أساس البلاغة (٧٨/١)، النهاية (١٥٨/١)، لسان العرب (٨٩/١٤) وما بعدها، تاج العروس (٢١٦/٣٧) وما بعدها.

^٩ قال في معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٥٠/١) عن البناء: "ويستعمل مجازاً في معانٍ تدور حول التأسيس

(بالمنتوق)، إلا أنه حاضرٌ (بالمفهوم) بوضوح، بل هو المقصود في ثلاث مواطن على الأقل (التوبة: ١٠٩، ١١٠)، [النحل: ٢٦]، [الصف: ٤].

- وإذا تتبعنا كلام (المفسرين) وتأملنا في (سياق الآيات) سيستبين لنا أن الحديث عن (بناء الجدران) في تلك الآيات جاء على سبيل (ضرب المثال)، فلا يَرَادُ هو لذاته، بِقَدْرٍ ما يُرَادُ لِمَا يُشَبِّهه ويرتبط به مما يخص (بناء الإنسان، وأعماله، وأحواله).

- بل هناك من المواطن ما تم (التصريح) فيه بأن المقصود ليس (بناء الجدران)؛ وإنما المقصود (التشبيه وضرب المثل)، وذلك في قوله تعالى {كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤].

- فرغم أن تلك الإشارات (تلميحية)، إلا أن دلالتها (قوية)؛ ففيها حصنٌ واضح للإنسان على أن يراعي في بنائه وبناء أعماله (كإنسان إيمان) الأصول والقواعد التي يراعيها في بناء (الجدران)، سواءً على المستوى الفردي (مستوى الذات) كما في قوله تعالى: {أَسَسَ بُنْيَانَهُ}، أو المستوى الجماعي (مستوى المجتمعات) كما في قوله تعالى: {بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}.

☞ واشتملت الآيات على الكثير من الإشارات التي تخص بناء الإنسان، على مستوى (الذات)، (والبيوتات)، (والمؤسسات)، (والمجتمعات).

☞ لم تذكر الآيات تعريفاً مباشراً (للبناء) بأنه هو (عملية كذا) مثلاً، وليس من الضروري أن يحصل ذلك دوماً في (التعريفات)، وخصوصاً لو كان (المصدر) تغلب عليه الطبيعة (العملية التشغيلية)، فقد يكون التعريف أحياناً (بأبرز الوسائل والعوامل) المعينة على حصول ذلك الشيء، وأحياناً (بمواصفات المُخرَج) المُنتظر وأهدافه وغاياته، وأحياناً (بمراحله وخطواته)، وأحياناً (بأركانه ومكوناته).

ونلاحظ أن الآيات تارةً كان التركيز فيها على (مواصفات البناء المنشود)؛ كقوله تعالى: {بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤]، وتارةً على (لوازم ووسائل وأسباب) البناء المنشود كقوله تعالى: {أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ} [التوبة: ١٠٩]، وتارةً على (عوامل ومعاول فساد) البنين كقوله تعالى: {أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ} [التوبة: ١٠٩]، وقوله تعالى: {فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْفُوعِدِ} [النحل: ٢٦]، ومن مجموع (تحليل وتعليل) كل ذلك يمكننا (تصور وإدراك) حقيقة البناء وماهيته، ويمكننا وضع تعريف (عملي تشغيلي) له.

☞ لا يُشْتَرَطُ في كل موضع تم الحديث فيه عن (البناء) أن نجد كل (التفاصيل التشغيلية)؛ لأنها تكون (مبثوثة بطريقة ما) في طول القرآن وعرضه، وربما احتاجت إلى (بيان نبوي) علمي أو عملي، لكننا رغم ذلك نجد في كل موضع (ما يكفي ويشفي) إن شاء الله؛ حيث نجد في الغالب حديثاً عن (المُخرجات) أو (المواصفات المطلوبة)، وذلك يكفي في (استنتاج وتصور) بقية (الأركان التشغيلية) للعملية البنائية (كالعمليات والمدخلات والقياسات)، والتي ربما تكون مُفَصَّلَةً في مواضع أخرى، لكننا لا نعدم في كل موضع إشارات تلميحية أو تصريحية.

☞ البناء بطبيعته عملية حيوية، وحاجة وجودية، ومسألة فطرية؛ لذا لدى معظم الناس فكرةً عنها بصورةٍ أو بأخرى، ولا يكاد أحد ينفك عن مباشرة البناء، ولو مرة، في أي ميدان؛ إلا أن المشكلة في (غياب) ذلك البناء من الميادين التي تنبغي، (والاضطراب) في مباشرته في الميادين التي تنبغي، وإذا أدركنا ما سبق يمكننا الآن تفهم أن الناس فيما يخص البناء الإنساني ليسوا بِحَاجَةٍ لتعريفات (نظرية تأصيلية) لشيءٍ معروفٍ أصلاً، بل هم أحوج لتعريفات (عملية تشغيلية)، وبِحَاجَةٍ إلى (تسديد وتجويد وترشيد) تلك (الاتجاهات والجهود)، لارتقاء بالواقع (الموجود)، وتحصيل (المفقود)، والوصول إلى الموقع (المنشود).

ولذلك سنجد أن قسماً من حديث القرآن عن البناء يتمحور حول (التحذير والتتفير مما لا ينبغي)، وبيان إشكالاته ومآلاته، ومنهاج التحصن منه؛ فلم تقتصر الآيات على بيان (عوامل القيام والبقاء)؛ وإنما اعتنت جداً ببيان (معاول الانهدام والفناء)، واعتنت بحضّ الإنسان على أن يتجنب أسباب فساد وضياح البناء، وخصوصاً (النفاق والظلم والطغيان) كما في (سياق) قوله تعالى: {أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة: ١٠٩]، وكذلك (المكر والاستكبار والكفران)، كما في (سياق) قوله تعالى: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل: ٢٦].

الآيات التي تحدثت عن بناء (الجنة) وبناء (السماء) اشتملت على إشارات فيها حضّ للإنسان على أن (يستترشد ويستأنس) بقواعد ومعالم بناء (الأكوان)، وخصوصاً قواعد ومعالم (بناء السماء)، التي تُعين على الوصول لتزكية النفس وما تستلزمه من (اتقاء)، وتتضمنه من (صفاء ونقاء، ونماء وارتقاء)، كما في قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ٥ - ١٠].

ويبدو أن (البناء) شيء في غاية (الكمال والإحكام والاستواء)؛ فمعظم المواظن التي ورد فيها في القرآن والسنة جاء منسوباً للرب سبحانه وبحمده، وجاء موصوفاً بالكمال والجمال والجلال ودوام الحال.

[٥] البناء في (السنة النبوية):

لقد استعمل النبي ﷺ لفظة البنيان للتعبير عن البناء الإنساني المنشود (تصريحاً) بما يتطابق مع استعمال القرآن؛ بل كان استعماله بمثابة (زيادة بيان) لما جاء في القرآن، وذلك في قوله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً"، ثم شبك بين أصابعه^{١٠}.

كما استعمل (البناء) للتعبير عن (بناء المسلم)؛ الإسلام الذي سيتم بناؤه في المسلم عبارة عن (بنيان له أركان)، فقال ﷺ: "بني الإسلام على خمس...^{١١}، وهذا واضح في أن المراد ببناء الإنسان لا الجدران. وشبه النبي ﷺ (الدين) وآثاره في الناس على مر العصور (ببنيان)، وشبه نفسه (بلبنة) في هذا البنيان؛ فقال: "مثلّي ومثلّ الأنبياء كمثل رجل بنى قصرًا، فأكمل بناءه وأحسن بناءه، إلا موضع لبنة، فنظر الناس إلى القصر. فقالوا: ما أحسن بنيان هذا القصر، لو تمت هذه اللبنة، ألا وكننت أنا اللبنة"^{١٢}.

وتطابق حديثه ﷺ مع القرآن في قضية أن الجنة (مبنية)؛ فقال ﷺ: "الرحمن بنى الجنة"^{١٣}، وتحدث عن بعض تفاصيل (بناء الجنة)، وما فيها من (أبنية).

وأكثر ما استعمل ﷺ فيه لفظة (البناء) من أبنية (الجدران) هي (المساجد)، ولا يخفى ما أشرنا إليه من أنها (أحسن مصانع بناء الإنسان).

[٦] التعريف المختار وبيانه:

وانطلاقاً مما سبق يمكننا أن نعرّف (البناء الإنساني المنشود) اختصاراً بأنه:

^{١٠} متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٠٢٦، ٦٠٢٧)، ومسلم (٢٥٨٥) مختصراً.

^{١١} متفق عليه: أخرجه البخاري (٨) واللفظ له، ومسلم (١٦).

^{١٢} أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦)، وأحمد (٩٣٣٧) واللفظ له.

^{١٣} رواه الترمذي (٢٨٦١)، وصححه الألباني.

- إنشاءً وارتقاءً واعتناءً.
- يتميز بمراعاة التسوية (السواء والاستواء)، والتركية (الصفاء والنماء).
- ويتم بمنهاج، لا خبط عشواء.
- ✍ **أولاً:** يحتاج ذلك التصريح لتوضيح؛ فنقول عن البناء الإنساني المنشود أنه:
- (١) بالنظر إلى زاوية (مكوناته وحقيقته): عملية (إنشاء) واصطناع، (ارتقاء) وارتفاع، (اعتناء) واضطلاع، أو (إيجاد، إعداد، وإمداد)، أو (تمكين، وتحسين، وتحصين).
- (٢) بالنظر إلى زاوية (أهدافه ووجهته): يتميز بمراعاة (التسوية) بدوام وتمام (الالتقاء) للفجور والالتواء، للتمكن من صيانة (السواء) الموجود، وصناعة (الاستواء) المنشود، كما يتميز بمراعاة (التركية) بدوام وتمام التنقيّة (الإبعاد للمؤذيات)، والترقية (الإمداد بالمُعذّيات) للتمكن من صيانة (الصفاء والنقاء) تطهيراً، وصناعة (النماء والارتقاء) تطويراً، فالبناء الإنساني (المنشود) باختصار: (بناء تزكوي للسوي المُستوي).
- (٣) بالنظر إلى زاوية (لوازمه وطريقته): يقوم على ساق (منهاج) يتجلى فيه النظر (والنظام)، والتأسيس (والإحكام)، بلا أدنى (فوضوية)، أو أي صورةٍ من صور (العشوائية).
- ✍ **ثانياً:** يحتاج ذلك التوضيح لمزيد من التوضيح؛ فنقول:
- (١) فالبناء يتم فيه (إنشاء) وتأسيس المبني أو المبنى، لكن ذلك الإنشاء ليس مجرد صناعة بل اصطناع (مستوى أبلغ في التكبد والتميز)، ولا يقف الحد عند (مكابدة) الإنشاء والاصطناع، بل تكون هناك (مكابدة) أخرى لأجل (الارتقاء) والتكميل، وذلك اللون من دوام (التقدم أو التطور) يكون بغرض (الارتفاع)، وهو نوع من (الزيادة) التي تكون أحياناً (كمية عددية) وأحياناً (كيفية نوعية).
- والبناء من أوله إلى آخره بحاجة إلى (اعتناء) واضطلاع بلوازم (الرعاية)، لكن ذلك يتأكد بعد (الإنشاء والارتقاء)؛ ولذلك فلو أردنا النظر للبناء من زاويةٍ أخرى، فهو نوعٌ من (الإيجاد) أو (التمكين) للمبني أو المبنى، لكن الأمر لا يقف عند حد الإيجاد والتمكين الذي هو أشبه (بالإنشاء)، وإنما يتجاوزهُ إلى (الإعداد والإمداد) أو (التحسين والتحصين) الذي هو أشبه (بالارتقاء والاعتناء).
- (٢) غير أن البناء يتميز عن غيره بمراعاة أبعاد التسوية (تأسيساً وتكميلاً)، والتي تستلزم دوام وتمام (الالتقاء) للفجور والالتواء، للتمكن من صيانة (السواء) الموجود، وصناعة (الاستواء) المنشود، كما يتميز البناء بمراعاة بُعدٍ آخر ينلُو التسوية (ويدعمها ويتممها)، ألا وهو بُعد (التركية)، الذي يستلزم دوام وتمام التنقيّة (الإبعاد للمؤذيات)، والترقية (الإمداد بالمُعذّيات)، للتمكن من صيانة (الصفاء والنقاء) تطهيراً، وصناعة (النماء والارتقاء) تطويراً.
- (٣) ولا بُدُّ من التأكيد على أن البناء الإنساني المنشود لا يكون إلا (بمنهاج)؛ وإلا وقع في فخ (الفوضوية، والعشوائية، والهشاشة، والاعوجاج)، فالمنهاج يجعل البناء أصلب وأقدر على (الصمود) في مواجهة (الفتن والمحن والزمن)، وأبعد من (الفوضوية، والعشوائية، والغنائية، والزبدية)؛ لأنه قام على ساق ترتيب (ونظام) ناشئ عن (الفهم والتبصر)، وتأسيس (إحكام) ناشئ عن (العزم والتصبر)، والمنهاج يجعل البناء قابلاً (للاستنساخ)؛ لأن هناك (وعي) عائق (السعي)، وهناك (منظومة) لتفعيل (المعلومة)، فتسهل إعادة تلك العملية التي قامت على ساق (معالم واضحة) في مُدخلاتها، ومُخرجاتها، وعملياتها، وقياساتها.

لعل ما سبق يفيد في تصور ما يتضمنه البناء الإنساني المنشود من (المخرجات والعمليات)؛ لكن لا بد من الحديث عن (المقومات والمؤهلات).

الفرع الثاني: خلاصة المقصود (بالمناهج).

[١] المنهاج في (الواقع والاستعمال المتداول):

بنظرة سريعة على استخدام كلمة (المنهاج أو المنهج) في الواقع، نجد أن أشهر استخدام لها هو ذلك الحاضر في الأوساط التعليمية والتربوية، حيث تطلق كلمة (منهج) على (محتوى أو مقرر) تعليمي أو تربوي، رغم أن كلمة (منهج) عند المتخصصين منهم تستخدم فيما هو أبعد من ذلك حيث تشمل الخطة الدراسية كاملة بما فيها من أسس وأهداف وتدریس وتقييم ومحتوى وغيرها، وتستعمل الكلمة أيضاً في الأوساط البحثية، حينما يتم الحديث عما يسمى بمنهج البحث العلمي (كالمنهج الوصفي، والمنهج التجريبي وغيرها)، ومعنى كلمة (المنهج) في الأوساط التعليمية والبحثية يتأثر تأثراً كبيراً بالثقافة الغربية وخصوصاً كلمتي (Methodology)، (Curriculum).

وذكر في معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/٢٢٩١) للمنهاج ثلاثة معانٍ: الأول: "طريق واضح"، والثاني: "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة"، والثالث: "مجموعة أفكار أو مبادئ مرتبطة ومنظمة".

وتستخدم الكلمة في الأوساط الدينية وصفاً لطريقة النبي ﷺ وسنته، فتحنكرها فئات، وفي الغالب يحصرونها في المسائل الفكرية، أما في الكلام العادي والمتداول للأفراد فلا يكادون يستعملون كلمة (منهج) فضلاً عن كلمة (منهاج) فضلاً عن كلمة (نهج أو منهجية).

[٢] المنهاج في (اللغة):

النُّونُ وَالْهَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ:

- الأول: النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمِنَهِاجِ. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ.

- وَالْأَخْرَ الْإِنْقِطَاعُ. وَأَتَانَا فَلَانٌ يَنْهَجُ، إِذَا أَتَى مَبْهُورًا مُنْقَطِعَ النَّفْسِ. وَضَرَبْتُ فَلَانًا حَتَّى أَنْهَجَ، أَي سَقَطَ. وَمِنَ الْبَابِ نَهَجَ الثَّوْبُ وَأَنْهَجَ: أَخْلَقَ وَلَمَّا يَنْشَقُّ^{١٤}.

ويصهر الراغب الأصلين في أصل واحد يتمحور حول (الظهور والتأثير)، فيقول: "النَّهْجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، وَنَهَجَ الْأَمْرَ وَأَنْهَجَ: وَضَحَ، وَمَنْهَجَ الطَّرِيقَ وَمِنْهَاجُهُ ... ومنه قولهم: نَهَجَ الثَّوْبُ وَأَنْهَجَ: بَانَ فِيهِ أَنْزُ الْبِلَى، وَقَدْ أَنْهَجَهُ الْبِلَى"^{١٥}.

^{١٤} مقياس اللغة (٥/٣٦١)، وقال الجوهري في الصحاح (١/٣٤٦): "النَّهْجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، وَكَذَلِكَ الْمَنْهَجُ

وَالْمِنَهِاجُ. وَأَنْهَجَ الطَّرِيقَ، أَي اسْتَبَانَ وَصَارَ نَهَجًا وَاضِحًا بَيِّنًا ... وَنَهَجْتُ الطَّرِيقَ، إِذَا أَبْتَنَيْتُ وَأَوْضَحْتُهُ. يُقَالُ:

اعْمَلْ عَلَى مَا نَهَجْتُهُ لَكَ. وَنَهَجْتُ الطَّرِيقَ أَيْضًا، إِذَا سَلَكْتَهُ. وَفَلَانٌ يَسْتَنْهَجُ سَبِيلَ فَلَانٍ، أَي يَسْلُكُ مَسْلَكَهُ.

وَالنَّهْجُ بِالتَّحْرِيكِ: الْبَهْرُ وَتَتَابَعُ النَّفْسِ ... وَأَنْهَجَ الثَّوْبُ، إِذَا أَخَذَ فِي الْبِلَى"، وانظر: بصائر ذوي التمييز (٥/

(١٢٨).

^{١٥} المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٢٥)

وفي تتبع استعمالات الراغب للفظة (المنهج) ^{١٦} نجده يشير لمعنى الاستقامة أيضاً، فيقول: "ويقال الضَّالُّ لكلِّ عدولٍ عن المنهج، عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، فإنَّ الطَّرِيقَ المستقيمَ الذي هو المرتضى صعب جداً"، ويقول في موطن آخر: "وإِسْتِقَامَةُ الْإِنْسَانِ: لزومه المنهج المستقيم"، ويقول: "وأصل الاختلاف، التخلف عن المنهج".
غير أن ابن الأثير يؤكد على (الاستقامة) ولا ينكر الوضوح والظهور والتأثير؛ فيقول: "النَّهْجُ بِالتَّحْرِيكِ، والنَّهْيُ: الرُّبُوعُ وتَوَاتُرُ النَّفْسِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرَكَةِ أَوْ فِعْلٍ مُتَعَبٍ ... وَفِي حَدِيثِ الْعَبَّاسِ (لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَرَكَكُمْ عَلَى طَرِيقٍ نَاهِجَةٍ)؛ أَي: واضحةً بَيِّنَةً. وَقَدْ نَهَجَ الْأَمْرُ وَأَنْهَجَ، إِذَا وَضَحَ. وَالنَّهْجُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ ... وَقَدْ نَهَجَ الثَّوْبُ وَالْجِسْمَ، وَأَنْهَجَ، إِذَا بَلِيَ"^{١٧}.

ويوافق السمين الحلبي الراغب، فيقول: "المنهاج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج. ويستعار ذلك للدين والأمر كاستعارة الطريق والمذهب لذلك. والنهج أيضاً: الطريق. وقد نهج الأمر وأنهج: اتضح. ومنه نهج الثوب وأنهج، أي: بان فيه أثر البلى، وقد أنهجه البلى"^{١٨}.

ويسير دكتور جبل في خط ابن الأثير في (الجمع بين الوضوح والتأثير والاستقامة مع إبراز الاستقامة)؛ فيقول: "المعنى المحوري: اتساع أثناء الشيء لذهاب الغلظ منها، فيُنْفَذُ فيها بقوة وإطراد أو استقامة ... وكالطريق التي ذهبت وعورتها فصارت مُدَلَّلَةً، أي مُمهدة واضحة مطردة بين الأرض المحيطة بها ... والمنهج ...: الطريق الواضح المستقيم كالنَّهْجِ ذَهَبَتْ وَعُورَتْهُ؛ فتمهّد ووضّح واتسع واستقام ... ومنه: نَهَجْتُ لَكَ الطَّرِيقَ: أبنته وأوضحته فاعمل على ما نَهَجْتَهُ لَكَ. وَنَهَجْتَهُ: سلكته فأوضّحته. وقد نهج الأمر وأنهج: وَضَحَ"^{١٩}.

[٣] المنهاج في (القرآن الكريم):

الإنسان الراغب بصدقٍ في إنجاز أي أمر يحتاج (الطريق)، ويحتاج (الطريقة) يسير بها في ذلك الطريق؛ ويمكننا التعبير عن (الطريق) بلفظة [الشرعة] أو السبيل، (والطريقة) يمكننا التعبير عنها [بالمنهاج] أو السُّنَّة. قال ربنا سبحانه وبحمده: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨]؛ فكل (إنسان) له (شرعة ومنهاج)، أو (سبيل وسنة)، أو (طريق وطريقة)، ولو زعم إنسان أنه ليس له (شرعة) أو (منهاج)، فإنه في الحقيقة على شرعة (اللاشرعة)، ومنهاج (اللامنهاج)، وربما كان على منهاج (الاعوجاج).

^{١٦} المفردات (ص: ٥٠٩) للموطن الأول، ثم المفردات (ص: ٦٩٢) للموطن الثاني، ثم تفسير الراغب (١/٣٧٥)

للتالث.

^{١٧} النهاية (٥/١٣٤)، وقد أشار المبرِّدُ إلى معنى الاستقامة بلفظ (الاستمرار)؛ فقال: "الْمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَمِرُّ" انظر: التفسير البسيط (٧/٤١٠).

^{١٨} عمدة الحفاظ (٤/٢٢٥)، وقال في الدر المصون (٤/٢٩٢): "والمِنْهَاجُ: مشتق من الطريق النَّهْجِ وهو الواضح ... وقال ابن عطية: (منهاج مثلاً مبالغة من نَهَجَ)".

^{١٩} المعجم الاشتقاقي المؤصل (٤/٢٢٧١)

ولخطورة وضرورة الاهتداء لأحسن (شرعة) وأحسن (منهاج)؛ فإن ربنا - سبحانه وبحمده - قد أمرنا أن نسأله أن يهدينا {الصرط المستقيم} سبع عشرة مرة على الأقل يومياً، والصرط المستقيم هو أحسن (شرعة)، والاستقامة عليه هي أحسن (منهاج).

وعدو الله إبليس يدرك جيداً (خطورة وضرورة) الاهتداء والاستواء على (الشرعة والمنهاج)؛ فيخبرنا ربنا سبحانه وبحمده أن الشيطان قال: {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} [الأعراف: ١٦]، فالخطايا (المنهاجية والفكرية) أحب إلى الشيطان من (الخطايا السلوكية)؛ لأن (الخلل أو الزلل) على مستوى معصية ما، ليس كذاك الذي على مستوى (الشرعة أو المنهاج)؛ لأن الذي على مستوى الشرعة أو المنهاج يُدمر (أموراً مركزية أصولية) تضبط وتحكم الكثير من (الأمر الفرعية التفصيلية).

[٤] المنهاج في (السنة النبوية):

قال رسول الله ﷺ: "تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ مَلَكًا عَاصِيًا، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ مَلَكًا جَبْرِيَّةً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ سَكَتَ"^{٢٠}، وعن حذيفة بن اليمان π قال: يا أيها الناس، ألا تسألوني؟ فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكُنْتُ أسأله عن الشرِّ، إنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ ﷺ فَدَعَا النَّاسَ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَمِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، فَاسْتَجَابَ لَهُ مَنْ اسْتَجَابَ، فَحَيَّيَ مِنَ الْحَقِّ مَا كَانَ مِيتًا، وَمَاتَ مِنَ الْبَاطِلِ مَا كَانَ حَيًّا، ثُمَّ ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ، فَكَانَتِ الْخِلَافَةُ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ"^{٢١}.

ولعل ذلك الاقتران الحاصل بين (المنهاج) و (النبوة) هو الأصرح في الربط بين (المنهاج) و (السنة) أو طريقة الأنبياء ونظامهم في السير السوي القويم داخل السبيل والصرط المستقيم (الشرعة)، فالكثير من الناس يعرف (الشرعة) أو الدين أو الصراط المستقيم، لكن التحدي الحقيقي في أن يكون نظام السير بمنهاج سوي سليم؛ وليس هناك أحسن كمالاً وجمالاً من نظام السير وطريقة السلوك التي اتبعها الأنبياء.

[٥] الخلاصة والتحرير:

(١) ينبغي أن ينتبه إلى أن نهج الشيء ونهجه، أي: اتضح وظهر وبان طريقه، ونهجه ونهجه شيئاً في شيء، أي: أثر وسلوك فيه واتضح وظهر وبان طريقه فيه، بينما نهج أو نهجه أحد شيئاً، أي: وضَّح وأظهر وبيَّن له الطريق؛ لذا يمكن رد كل الاستعمالات إلى (الاتضح والظهور، والسلوك والتأثير)، وهو ما اختاره الراغب وتابعه عليه السمين الحلبي وغيره ψ ، ويبدو أن المادة تستعمل في الصلاح والإصلاح، أي: الاستيضاح والإيضاح، والاستبانة والإبانة، والظهور والإظهار، قال الفيومي: "وَنَهَجُهُ وَأَنهَجُهُ: أَوْضَحْتُهُ، يُسْتَعْمَلَانِ لِأَزْمِنٍ وَمُتَعَدِّيَيْنِ"^{٢٢}.

^{٢٠} مشكاة المصابيح (٥٣٠٦)، وحسنه الألباني، مسند أحمد (١٨٤٠٦)، وحسنه الأرئوط

^{٢١} مسند أحمد (٢٣٤٣٢) وصححه الأرئوط، قال القاري في مرقاة المفاتيح (٣٣٧٦/٨): "عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ"، أي: طَرِيقَتِهَا

الصُّورِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ

^{٢٢} المصباح المنير (٦٢٧/٢)، وانظر: تاج العروس (٢٥٢/٦)

(٢) يمكننا القول أن مواصفات المنهاج أو المنهج أو النهج كطريق (مادياً) هي:

- الوضوح والظهور، وهي الصفة الأشهر والأظهر، [انظر: مقاييس اللغة (٣٦١/٥)، الصحاح (٣٤٦/١)، المفردات (ص: ٨٢٥)، عمدة الحفاظ (٢٢٥/٤)، بصائر ذوي التمييز (١٢٨/٥)، المعجم الاشتقاقي المؤصل (٢٢٧١/٤)].
- التأثير الواضح الظاهر في غيره، [انظر: مقاييس اللغة (٣٦١/٥)، الصحاح (٣٤٦/١)، بصائر ذوي التمييز (١٢٨/٥)].
- الاتساع، [انظر: التحرير والتنوير (٢٢٣/٦)، المعجم الاشتقاقي المؤصل (٢٢٧١/٤)].
- التمهيدي والتدليلي وذهاب الوعورة، [انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (٢٢٧١/٤)].
- الاستقامة، [انظر: المفردات (ص: ٥٠٩)، تفسير الراغب (٢٤٧/١)، النهاية (١٣٤/٥)، المعجم الاشتقاقي المؤصل (٢٢٧١/٤)].

- الاستمرار، [انظر: التفسير البسيط (٤١٠/٧)].

وعليه يكون المنهاج أو المنهج أو النهج (مادياً)، طريق (متميز) عما حوله من الأرض والطرق بالوضوح والظهور في نفسه، والإيضاح والإظهار لغيره والتأثير فيه، وذلك لكونه واسعاً مُمهّداً مستقيماً (مستمرّاً)، فلو أن إنساناً ينظر من السماء لبقعة هائلة جدا من الأرض، ورأى طريقاً ظاهراً واضح المعالم متميزاً عما حوله بكونه ممهداً متسعاً مستقيماً (مستمرّاً)، لكان هذا الطريق هو (المنهج أو المنهاج)؛ ولذلك يكون المنهاج أو المنهج بمثابة (دليل ومرشد وهادي) يوضح لمن أراد التحرك في تلك (الأرض) أفضل نظام أو خطة أو طريقة يسلكها. ولربما قال البعض: وما التميز في كون الطريق (ظاهراً واضحاً)، الطريق أصلاً ظاهر واضح؟ فأقول: هذا بالنسبة لإنسان هذا الزمان، لكن بالنسبة لإنسان ذلك الزمان، في ذلك المكان، أمر الوضوح والظهور كان مهماً للغاية في آثاره في حياتهم، قد كانت هناك وظيفة يطلق على صاحبها (الخزيت)، وهو الرجل الذي يساعد الناس على معرفة الطرق.

(٣) تمت استعارة ذلك المعنى (المادي) السالف للتعبير عن معنى (معنوي) وهو (الطريقة الظاهرة المؤثرة)، وظهور الطريقة في كونها (واضحة سهلة مستقيمة في نفسها)، وتأثيرها في كونها (موضحة لغيرها)، وتلك الاستعارة مطردة في لغة العرب في كلمات كثيرة (كالصراط والسبيل والمذهب والطريقة) وغيرها، لكن من أبرز ما يميز المنهاج أو المنهج عن غيره هو (الوضوح والظهور والتأثير).

فمادة (نهج) وتصريفاتها لو أضيفت إلى الطريق أو ما في معناه:

- أكسبته وصف (الوضوح والظهور والسعة والاستقامة)، كقولهم "طريقٌ نهجٌ"^{٢٣}، واستتهج الطريق^{٢٤}.
- أو عبّرت عن سلوكه سلوكاً واضحاً مستقيماً (مستمرّاً)، كقولهم "نهج الطريق، واستتهج سبيل فلان"^{٢٤}.

^{٢٣} قال الخليل في العين (٣/٣٩٢): "طريقٌ نَهَجٌ: واسعٌ واضحٌ ... والمنهاج: الطريقُ الواضحُ".

^{٢٤} قال المناوي في التوقيف (ص: ٣١٧): "المنهج الطريق المنهوج، أي: المسلوک". وفي المعجم الوسيط (٢/٩٥٧)

تعريف اصطلاحی حديث للمنهاج طبقاً للواقع المعاصر في الدراسة والتعليم ونحوها بأنه: "الخطة المرسومة"

كما أما حين تأتي تلك المادة مصدراً (منهاج أو منهج أو نهج)، مستقلة عن كلمة الطريق أو ما في معناها، فإنها تفيد:

- الطريق المتميز (مادياً) عما حوله من الأرض والطرق بالوضوح والظهور في نفسه، والإيضاح والإظهار لغيره، لكونه واسعاً مُمهّداً مستقيماً.
- والطريقة المميزة (معنوياً) عن غيرها بكونها واضحة المعالم، سهلة مستقيمة في نفسها، موضحة لغيرها.

(٤) أدق وأحسن تعريفات لكلمة (المنهاج) في قوله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨] هي تلك الصادرة عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين والمفسرين ١٢ بأن المنهاج هو (السنة). والمراد بذلك النظام الحاكم الضابط الأمثل، والطريقة الواضحة الشارحة الأكمل (للاهداء والاستواء) في سلوك ذلك السبيل (علمياً وعملياً) والاستقامة عليه، أو بعبارة أخرى يكون المنهاج هو (سنة وطريقة ونظام السير السوي الظاهر الواضح) في داخل السبيل الظاهر الواضح (الشرعة)، وهو سنة محمد ρ أو منهاج النبوة، كأنه الكتالوج أو نظام ودليل التشغيل، ويبدو أن المنهاج يتناول أكثر (طريقة التنفيذ والسلوك) علماً وعملاً، فهو ليس عبارة عن مجرد معلومات تنظيرية، بل معلومات تطبيقية.

(٥) الفرق بين المنهاج والمنهج والنهج والمنهجية:

كما في كلام اللغويين والمفسرين لا نكاد نجد تفرقةً بين المنهاج والمنهج والنهج، ولم أقف على كلام لأحد يفرق بينهما، فيبدو أن المنهاج والمنهج والنهج عندهم بمعنى واحد، ولا فرق بينهما من الناحية (الدلالية).
كما غير أن القرآن استعمل لفظة (المنهاج) ولم يستعمل لفظة (المنهج) أو (النهج)، وكذلك فعل رسول الله ρ ، إذن يغلب على الظن أن هناك فرق بين المنهاج والمنهج والنهج، لاسيما وأن هناك فرق بين الكلمات في البناء الصرفي، فمنهاج على وزن (مَفْعَال) كمِعْرَاج، وَمَنْهَج على وزن (مَفْعَل) كمَعْرَج، وَنَهْج على وزن (فَعْل) كعَرَج. وليس هذا مقام تحرير الفرق الدلالي بين الصيغ الصرفية (مَفْعَال)، (مَفْعَل)، (فَعْل)؛ إلا أنه لابد أن يكون هناك فرقٌ بينها، ويبدو أن نصيب كلمة (المنهاج) من الحمولة الدلالية الجيدة لمادة (نهج) أكبر بكثير من كلمة (منهج) أو (نَهْج)؛ فصيغة (مَفْعَال) أقوى في الوصفية وربما المصدرية من صيغة (مَفْعَل)، وصيغة (فَعْل)، فكلمة مِعْرَاج (مَفْعَال) أقوى في وصف (الصعود والسمو والارتقاء) من مَعْرَج (مَفْعَل) وعَرَج (فَعْل). ولأستاذنا الدكتور الشهيد البوشيخي كلام حول المسألة يقول فيه: "أما (المنهاج)، فهناك ثلاثة ألفاظ تستعمل فيه: النهج والمنهج والمنهاج، وكلها يقصد بها (الطريق)، لكن (المنهج) أغلب استعماله في الطريق الفكري، وأغلب استعمال (النهج) في الطريق مطلقاً، وأغلب استعمال (المنهاج) في الطريق العملي الذي له أصل فكري، ولكن الذي هو في البؤرة في لفظة (المنهج) هو الطريق الفكري، أي الكيفية النظرية التي يتم وفقها الوصول إلى حقائق معينة. وأما (المنهاج) فهو الطريقة العملية التي يسار عليها للوصول إلى مقاصد بعينها"^{٢٥}.

^{٢٥} نظرات في الهدى المنهاجي (ص: ١٣)، وفي مجلسٍ خاصٍ مع الأستاذ حفظه الله أخبرني أنه يرى أن من الفروق أيضاً أن (المنهاج) يعبر عن رؤية (كلية) كمنهاج الإسلام أو منهاج النبوة، أما (المنهج) فيعبر عن رؤية أو قضية (جزئية).

أما فيما يخص كلمة (المنهجية)، فلم يتم استعمالها في الوحي، ولم أجد لها حضوراً كبيراً في الاستعمال في اللغة، غير أن كلمة المنهجية من الناحية الصرفية، واستعمالاتها العصرية، ربما تشير إلى مسائل (تفصيلية) كالخطوات العملية، أو الآليات التشغيلية.

وتركز المنهجية على المعالم والأصول والمراحل (التشغيلية) الإجمالية (الكبرى)، التي (تَحْكُمُ وتُنظِّمُ) التفاصيل والخطوات التشغيلية (الصغرى) التي تعتني بها (الآلية)، وبذلك تكون (الآلية) ابنةً (للمنهجية) من ناحية أنها (تنفِرج) عنها، وتعمل على مستوى (أصغر) منها، تحديداً في الأمور التشغيلية، فالمنهجية بمثابة الخطوط والمحطات (الكبيرة) التي يقطعها (القطار)، بينما (الآلية) بمثابة المحطات (الصغيرة) التي بين تلك المحطات الكبيرة.

المطلب الثاني: تحرير المقصود بالبناء المنهجي.

كانت هناك أستاذة جامعية أمريكية لاحظت أن الطلاب يدرسون ويبدلون جهداً لكنهم (لا يحققون ما يريدون)، فاكتشفت أن المشكلة في أنهم (لا يعلمون كيف يتعلمون أو يدرسون)، وليست لديهم (المفاهيم والمهارات اللازمة للقيام بعملية التعلم)، فابتكرت (دورة تدريبية) قَدَّمَتها لألوف الطلاب لمساعدتهم على بناء مفاهيمهم ومهاراتهم المتعلقة بالتعلم، لتتوفر لديهم (منظومة) لممارسة التعلم، ويكون لديهم (طريقة سليمة) في السير في طريق التعلم، تلك باختصار كانت قصة الدورة التدريبية الشهيرة (تعلم كيف تتعلم؟ Learning How To Learn)، والتي تدرّب عليها ملايين الطلاب حول العالم، وتعتبر ثاني أشهر دورة على المنصة الشهيرة (كورسيرا Coursera). وتحدثت عن تلك الدورة التدريبية وفكرتها لأقرب ما أدعو إليه من البناء المنهجي للطفل، فالطفل يتعرض لمصادر معرفة (مسطورة ومنظورة، ونافعة وضارة) داخل المؤسسة التعليمية وخارجها، وتتم مطالبته بأن يحسن التعامل والتواصل معها (علمياً وعملياً)، رغم أنه ليست لديه المفاهيم والمعلومات أو المهارات والأدوات اللازمة للقيام بما نطالبه به.

ليس لدى الطفل (منظومة مرتبة) من خبرات (مفاهيم ومهارات واتجاهات)، وليس لديه مجموعة (أصول منظومة في خط سير واحد)، ونظام كامل شامل لأصول وقواعد تمنحه (طريقة) سليمة مستقيمة للسير في (طريق) المعرفة أو التعلم، وتعلّمه "كيف يتعلم؟"، (فطريق) التعلم جيد ومُهمّد، لكن (طريقة) التعلم والتعامل تحتاج لأن تُحدّد وتُشدّد وتُجَوّد. وهذا هو ما نقصده (بالمناهج)، إنه أمر أبعد وأعد من مجرد اكتساب مجموعة مفاهيم أو مهارات أو اتجاهات؛ إنه (نظام) حاكم (ومنظومة) شاملة متكاملة تتجلى في صورة (طريقة) منظمة للسير في الطريق، وتشتمل تلك الطريقة على خبرات (مفاهيم ومهارات واتجاهات) تم بناؤها (بنظام وإحكام).

وعملية "بناء ذلك المنهج المُعين على (أحسن) تعامل وتواصل وتفاعل مع (مصادر المعرفة) المسطورة والمنظورة، والنافعة والضارة، داخل المؤسسة التعليمية وخارجها" هو ما نقصده بالبناء المنهجي للطفل، والذي يُنقّي بما يُسمّى (عاداتِ العقل) في قِطَاعَاتٍ مِنْهُ.

البناء المنهجي ينشغل بالأصول (الكلية) الحاكمة والضابطة للتفاصيل (الجزئية)، وبالحقائق (الكبرى) الحاكمة والضابطة للثقائق (الصغرى)، وبالمنظومات الحاكمة والضابطة للمعلومات.

ولذلك فهو يعمل على (تسديد وتجويد وترشيد) التصورات الحاكمة والضابطة للتصرفات، والأفكار الحاكمة والضابطة للأفعال، والمعتقدات الحاكمة والضابطة للسلوكيات، والمفاهيم الحاكمة والضابطة للمهارات، لذلك هناك مناهج (علمي تبصيري) حاكم وضابط للمناهج (العملي التصبيري).

ومفهومنا للبناء المنهجي يتجاوز مجرد (التعلم) إلى بناء منظومة (علمية عملية) كاملة شاملة للخبرات المطلوبة (المفاهيم والمهارات والاتجاهات)، وهذا أمر أبعد من مجرد التعليم، إنه (بناء) وليس (خبث عشواء).

ومفهومنا للبناء المنهاجي أيضاً يتجاوز مصادر المعرفة (المسطورة) إلى (المنظورة)، ومصادر المعرفة (داخل) المؤسسات التعليمية إلى (خارجها)، ومصادر المعرفة (العمرائية) إلى (الإيمانية). فالطفل يتعرض لمصادر معرفية (علمية) وأخرى (أدبية)، والأدبية منها (القصصية) ومنها (غير القصصية)، والقصصية منها المسطورة (المقروءة) ومنها المنظورة (المرئية)، وهو ولا شك يحتاج لمفاهيم ومهارات ومعلومات وأدوات منهاجية تعينه على أحسن تعامل وتواصل مع تلك المصادر. والطفل لا ينفك أبداً عن استقبال (الرسائل):

- فتارة تكون مسطورةً (مقروءةً في كتاب أو جواب أو مسموعةً في كلام).
- وتارة تكون منظورة (متجليةً في مواقف أو أجسام أو كيان).
- وتارة تكون مقدورة (متجليةً في تدابير وأحكام)

وتلك الرسائل التواصلية يتلقاها الطفل في (البيئة التعليمية) أو في حياته العملية (الاجتماعية)، وذلك التنوع والتباين الذين في صور وأنواع وميادين الرسائل يستلزم من الطفل مفاهيم ومهارات ليتعامل معها أحسن تعامل.

ولا تقتصر علاقة الطفل بالرسائل على (الاستقبال والاستعمال)؛ لأنه في أوقات يبدأ أو يشارك في (الإرسال)؛ وكل حالةٍ من تلك الحالات لها مفاهيم ومهارات ومنظومات لياشر الطفل الأمر على أحسن الصور. لذا فإن مفهومنا للبناء المنهاجي أشمل بكثير من البناء المطلوب للبيئة الصفية أو المدرسية؛ لأنه يركز على كل الكفايات الحياتية المطلوبة لبناء الإنسان المتميز السابق في كل محارِب الاستنارة والتتوير والاستقامة والتعمير.

فالطفل قد يكون (مميزاً) في الدراسة العلمية، لكنه يكون (متأخراً للغاية) في الحياة العملية والاجتماعية، قد يكون مميزاً على مستوى (صلاحه) الشخصي وعنايته بنفسه، ويكون متأخراً للغاية على مستوى (إصلاحه) وعنايته بغيره، وربما تخرج لنا المؤسسات التعليمية نماذج (متميزة) علمياً، وتكون في ذات الوقت (مُعاقه) نفسياً أو تواصلياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً، الخبرات اللازمة للسير السليم المستقيم في دروب الحياة أبعد وأعقد بكثير مما تقدمه المؤسسات التعليمية، وتنشغل به المؤسسة الأسرية.

يحتاج الطفل لكي (يدرس) أو (يتعلم) لمهارات الفهم والحفظ والتفكير وغيرها من المهارات العلمية؛ لكنه لكي (يعيش) أو (يتقدم) يحتاج للتدبر، والاعتبار، والتزكي، والتعقل، والتصبر، والتواصل، والتفاعل، والتكامل، وغيرها من المهارات المنهاجية (الحياتية)؛ لذا تنتوع ميادين البناء المنهاجي لتشمل المعنى والمبنى، والمظهر (القلب) والجوهر أو المخبر (القلب)، والعقل والعاطفة (الوجدان)، والفهم والعزم، والتبصر والتصبر، والعلم والعمل، والوعي والسعي، والأنساق والأخلاق، والاستنارة والاستقامة، والصلاح والإصلاح، والتتوير والتعمير.

ومفهومنا للبناء المنهاجي يتجاوز بناء (الفعل) إلى بناء الفرد (الفاعل)، فبنبي فعل (التعلم) وبنبي (المتعلم)، وبنبي فعل (التفهم) وبنبي (المتفهم)، وبنبي فعل (التفكير) وبنبي (المتفكر)، وبنبي فعل (التعقل) وبنبي (المتعقل)، وبنبي فعل (التدبر) وبنبي (المتدبر)، وبنبي فعل (الاعتبار) وبنبي (المعتبر)، وبنبي فعل (الازدجار) وبنبي (المزدجر)، وبنبي فعل (الادكار) وبنبي (المدكر)، وبنبي فعل (التذكر) وبنبي (المتذكر)، وبنبي فعل (التبصر) وبنبي (المتبصر)، وبنبي فعل (التصبر) وبنبي (المتصبر)، وبنبي فعل (الاتباع) وبنبي (المتَّبِع)، وبنبي فعل (الاستماع) وبنبي (المستمع)، وبنبي فعل (التزكي) وبنبي (المتزكي)، وبنبي فعل (الإصلاح) وبنبي (المُصلِح).

والبناء المنهاجي يزود الطفل بالمهارات والأدوات المنهاجية التي يحتاج (لإعمالها) في المفاهيم والمعلومات التي

ترد عليه من مصادر المعرفة المختلفة، فالبناء المنهجي يزوده مثلاً بمهارة وأداة (التبصر) المنهجية التي يحتاج الطفل لإعمالها في المعلومات والمفاهيم التي تَرُدُّ عليه ليتبين أيها (بصائر) ومنائر؟ وأيها يستجلب المخاطر والمعاثر؟ وحينها يكون الطفل قد (أبصر) ومارس فعل (التبصر)، ومع تكرار واستقرار واستمرار فعل (التبصر) يصبح الطفل فرداً (متبصراً).

كما يزود البناء المنهجي الطفل بالمهارات والأدوات التي يستعملها لتسديد وتجويد وترشيد التصرفات والسلوكيات، فالبناء المنهجي يزوده مثلاً بمهارة وأداة (التبصر) المنهجية، التي بإعمالها في التصرفات والسلوكيات، تعين على تمكينها وتحسينها وتحسينها، فإذا عزم الطفل على ممارسة (التبصر)، ومارس فعل (التبصر)، يصبح الطفل فرداً (متبصراً) مع تكرار واستقرار واستمرار فعل (التبصر).

فالطفل الذي تم (بناؤه مناهجياً) على صراطٍ سليمٍ مستقيمٍ بنظامٍ حكيمٍ قويمٍ للتعامل والتواصل مع (مصادر المعرفة) المسطورة والمنظورة سيتوفر لديه من (المفاهيم والمعلومات) ما يعينه على (التبصر) والتعقل (فهماً وإدراكاً)، ويتوفر لديه من (المهارات والأدوات) ما يعينه على (التبصر) والتعقل (ضبطاً وإمساكاً).

فحين تكون لدينا أو لدى أطفالنا (جمارك) أو (محاكم) مناهجية؛ سنجري (فحوصات ومحاكمات) مناهجية لتلك المصادر المعرفية؛ وسنتمكن من الحكم عليها بصورة موضوعية، وإدراك ما فيها من (مخاطر أو معاثر) بنائية تعليمية. مصادر المعرفة المسطورة والمنظورة (متنوعة ومتباينة) للغاية، ودائمة (التجدد والتطور)، ولا يمكن أبداً التعويل على قدراتنا نحن على (استيعاب) مصادر المعرفة والإحاطة بها، لا سيما في هذا العالم المفتوح؛ ولذا لا مناص عن بناء الطفل مناهجياً، وتزويده بمهارات التبصر والتمييز والمحاكمة المنهجية لمصادر المعرفة المختلفة.

وما يتعرض له الطفل من (مصادر المعرفة المسطورة والمنظورة) تحتوي على (مُغذيات) إيمانية أو عمرانية يحتاج الطفل لمفاهيم ومعلومات ومهارات وأدوات مناهجية تعينه على حُسن (الاستمداد) منها لتحصل (المناعة والصناعة) البنائية، كما أنه من المُحتمَل أن تحتوي على (مُؤذيات) إيمانية أو عمرانية يحتاج الطفل لمفاهيم ومعلومات ومهارات وأدوات مناهجية تعينه على حُسن (الإبعاد) لها لتحصل (المناعة والصيانة) البنائية. وهذا ما يقدمه باختصار البناء المنهجي للطفل؛ والذي يعمل في محور (الصيانة) والمنع والمناعة (والإبعاد) للمؤذيات، بالتعاقب مع محور (الصناعة) والمناعة (والإمداد) بالمغذيات. وبذلك يمثل البناء المنهجي القويم للطفل حائط الصد (الأول)، وخط الدفاع (الأمتل)، في العصمة من موجات (الإفساد والإضلال)، والحماية من صنوف (الاضطراب والاختلال).

خلاصة الخلاصة:

(١) البناء المنهجي هو عملية تركبوية يتم فيها الانطلاق من أصول وقواعد عملية البناء الإنساني، ويكون (ميدان) تلك العملية هو (منهاج الإنسان) من ناحية منظوماته وأدواته، ومفاهيمه ومهاراته، ومُهداته ومُتمماته؛ وتهدف إلى صيانة السواء وصناعة الاستواء الذي يعين على اكتساب (الخبرات والأدوات والمفاهيم والمهارات) اللازمة لأحسن تعامل وتفاعل مع المُغذيات (ارتواءً واستمداداً) والمؤذيات (اتقاءً وإبعاداً).

(٢) الفارق الأكبر بين البناء المنهجي (السليم والسقيم) هو درجة (الاستقامة المنهجية) التي تعتبر بمثابة (المعيار) الأهم (والغاية) الأعظم للبناء المنهجي (السليم)، والاستقامة (استقرار واستمرار)، وإقامة وإدامة أو إتمام ودوام، وهي (اهتداءً واستواءً)، ومن أهم ثمرات الاستقامة أنها تمنح البناء المنهجي قدراً عالياً من (الصلابة والصمود) في مواجهة الفتن والمحن، لا تتزلزل أصول أركانه أو تخفت أنوار إيقانه مع مرور الزمن.

(٣) إذا تم بناء الطفل منهجياً تتوفر لديه مفاهيم ومهارات، ومنظومات وأدوات أبعد وأعمق وأجود بكثير مما يسمى حديثاً (عادات العقل)؛ لأن البناء المنهجي لا يقتصر على إكساب الطفل بعض العادات مهما زاد عددها، بل يسعى لبناء (نظام حاكم، ومنظومة كاملة شاملة) قادرة على (توليد) عدد هائل من الأدوات والمهارات والعادات المناسبة لكل ما يتعرض له الطفل من تحديات أو يواجهه من مشكلات أو يحتاج لتلبية من احتياجات.

(٤) مستويات البناء المنهجي المنشود: البناء المنشود ينبغي أن يكون (تركوياً)؛ والتركيزية تعمل على مستويين:
○ الأول منها: (التصفية والتقية والتطهير)، وهو عبارة عن (صيانة) الاستقامة المنهجية (الظرية الموجودة القائمة)، ويكون ذلك بصيانة (السواء) المنهجي الذي فطر الله الإنسان عليه، والمميزات (الموجودة) بإبعاد (المؤنجات).
○ والثاني: (التنمية والترقية والتطوير) وهو عبارة عن (صناعة) الاستقامة المنهجية (المكتسبة) المنشودة (الدائمة)، وذلك بصناعة (الاستواء) المنهجي المُستلزم لصيانة مُكْتَسَبَاتِ (السواء)، وتعزيز وتكميل ذلك (البناء)، واكتساب المميزات (المنشودة) بالإمداد (بالمُعْذِيَّات) مما جاء في (الوحي) على (منهاج الأنبياء).
(٥) محاور البناء المنهجي المنشود والاستقامة المنهجية المنشودة:

○ الأول: استقامة منهجية (صلاحية) [خاصة] [بناء "الفعل" المستقيم منهجياً]:
حيث يتصرف الفرد في (موقف) من المواقف انطلاقاً من (منظومة منهجية) ربابية (علمية عملية) سليمة سديدة رشيدة، وبما تستلزمه (المنظومة المنهجية) في تلك المسألة الخاصة من (خبرات ومهارات وأدوات).
○ الثاني: استقامة منهجية (صلاحية) [عامة] [بناء "الفرد" المستقيم منهجياً]:
حيث (يتخلق) الطفل بالحد الأدنى - على الأقل - من (مهارات وأدوات) الاستقامة المنهجية في الحد الأدنى - على الأقل - من (الميادين) المطلوبة، والحد الأدنى - على الأقل - من (المستويات) المطلوبة داخل تلك الميادين، والمطلوب باختصار: صيانة وصناعة الطفل المسلم (الرباني) الذي ﴿يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].
○ والاستقامة المنهجية الخاصة (بناء الفعل) هي بمثابة (وسيلة وبدائية) للاستقامة المنهجية العامة (بناء الفرد) والتي تعتبر بمثابة (الغاية والنهاية).

○ ولا نريد (بناء المستقيم منهجياً) لذاته (صلاحاً) فقط، بل نريده لما هو أبعد منه (إصلاحاً)؛ لذا فإننا في البناء المنهجي للطفل ننشد ما هو أبعد من أن يكون الطفل (مبنيًا)، ننشد أن يصير الطفل (بانياً)، وأن يحلق في سماء (الإصلاح) المنهجي (عالياً).

(٦) منهاج البناء المنهجي: أحسن منهاج هو منهاج الربابية (منهاج النبوة - منهاج العلم والعمل)؛ والذي أوصانا ربنا سبحانه وبحمده به في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، والذي يستلزم الربابية على مستويين:

○ الأول: المقصد والوجهة والنية: وذلك بالعزم على التزام (الإخلاص بلا وسواس ولا إياس، والإفلاس بترك التعلق بالناس) في الابتداء والانتها والاستواء، أو ما نطلق عليه إرادة (المؤمن) القلبية (الوعي مع نية صالحة "صافية" صادقة، ودافعية قوية) (الإخلاص بلا إياس أو وسواس، والإفلاس وترك التعلق بالناس).
○ والثاني: الطريقة والمنسك والمنهجية: وذلك بالعزم على الالتزام (باتباع منهاج الأنبياء خير الناس) في الابتداء والانتها والاستواء، أو ما نطلق عليه العزم على الالتزام بإدارة (المؤمن) العملية للأمور (السعي الصادق السابق بمنهجية "أافية" بالأمر سداداً وسرعة).

ولقد أوصانا الله بالتعاقب بين الإرادة (الإيمانية) القلبية والإدارة (الإيمانية) العملية في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْأَجْرَةَ (وَسَعَى) لَهَا سَعَيْهَا وَهُوَ (مُؤْمِنٌ) فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

(٧) ترتيب عمليات البناء المنهجي: ينبغي أن ننتبه إلى أن الأهم هو اكتساب (مفاهيم ومهارات وأدوات

وخبرات) التعامل والتواصل والتفاعل مع المغذيات (رسائل ومصادر المعرفة النافعة)؛ لأنها هي التي ستزود الطفل بما يعينه على (إبعاد المؤذيات) والتحصن منها، فالمغذيات هي (أنفع وأوقع) ما تندفع به المؤذيات، (والصناعة) هي الأداة الأهم (للصيانة).

(٨) أول ما ينبغي الشروع فيه من (الصناعة والصيانة) المنهاجية: هو ذلك المتعلق (بأصول) إقامة (كتاب الله) على منهاج رسول الله ﷺ (علماء وعملاً)، وإقامة (الصلاة) التي أَرادها الله (عِظماً وإتماماً ودواماً)؛ لأنهما رغم أنهما في هذه المرحلة يعتبران (ثمره وغاية)؛ لكنهما سيكونان (أحسن شجرة وبداية) لكل ما يأتي بعد ذلك من (معالم الاستقامة المنهاجية الكاملة الشاملة)، فهما أهم (أدائين ووسيلتين) على الإطلاق للبناء المنهاجي؛ كما أنهما أهم (مقياسين ومقياسين) لسلامته واستقامته؛ لأن كل تحسن في الاستقامة المنهاجية ينبغي أن ينعكس في مرآتهما، ويعود عليهما بالتحسين.

(٩) وأخيراً: فإن البناء المنهاجي من الأشياء التي لن يماري أحدٌ في أهميتها لو تَفَكَّرَ في (الإشكال والحال) المعاصر، وتَفَكَّرَ في (المال)، وغياب واضطراب ما ينبغي من (الأقوال والأعمال والأحوال والخلل)، لكن ما يشوش على البعض الإدراك الكافي لأهميته وشهوها (تبصراً) أن أهميته تتجلى أكثر في المستويات (المركزية العميقة) أكثر من تجليها في المستويات (الفرعية السطحية)، وفي الميادين (الأجلة الاستراتيجية) أكثر من الميادين (العاجلة الآتية)، وفي الميادين (الدينية الإيمانية الأخروية) أكثر من الميادين (الدينية البدنية العمرانية).

فالخلل في (البناء المنهاجي) هو خللٌ أشبه بالخلل في (الجهاز العصبي المركزي) للإنسان أو الخلل في (أنظمة تشغيل) الأجهزة، لا يظهر للذين يتعاملون مع الأمور (سطحية) ويمنهاج يركز على (الأعراض والحلول التسكينية)، رغم وضوحه تماماً للذين يتعاملون مع الأمور (بتحليل وموضوعية) ومنهاج يركز على (الأمراض والحلول الجذرية الشفائية)، وذلك النوع من الخلل في (البناء المنهاجي) يكون له (امتدادات وانعكاسات) كثيرة؛ فهو (خللُ الخلل) لو صح التعبير، حيث تظهر آثاره في العديد من (الميادين) وعلى كثير من (المستويات) التي هو (أساسها ونبراسها)، وبالعلاج ذلك الخلل المنهاجي (المركزي) تختفي كل ألوان الخلل (الفرعية).

☞ مثال توضيحي من نسخة (نماذج الوحي المنظورة):

لَمْ يَعْشِ يَوْسُفَ ρ مَعَ يَعْقُوبَ ρ زَمَانًا طَوِيلًا؛ فَقَدَ بَقِيَ يَوْسُفَ ρ مَعَ يَعْقُوبَ ρ فِتْرَةَ طُفُولَتِهِ تَقْرِيبًا فَقَطْ؛ وَتِلْكَ الْفِتْرَةُ هِيَ الْأَهْمُ فِي حَيَاتِهِ (بِنَائِيًّا)؛ وَأَرَى أَنْ يَوْسُفَ ρ قَدْ تَمَّ بِنَاؤُهُ (مِنْهَاجِيًّا) فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَحْسَنِ (تَعَامُلِ) وَتَوَاصُلِ وَتَفَاعُلِ) مَعَ الْمَغْذِيَّاتِ (رِسَائِلِ وَمَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ النَّافِعَةِ)، وَمَعَ الْمَوْذِيَّاتِ (رِسَائِلِ وَمَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ الضَّارَّةِ)، وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَيَازَةِ مَا تَسْتَلْزِمُهُ الْاسْتِقَامَةُ الْمِنْهَاجِيَّةُ مِنْ (مَفَاهِيمِ وَمَهَارَاتِ).

والمبهر في الأمر أنه قد تم (بناؤه وتعليمه) بطريقة تجعله يستطيع تمييز الأشياء التي هي في حقيقتها (مغذيات)، لكنها تأتي في صورة (مؤذيات وابتلاءات)؛ فيرى (المنح) التي في (المحن)، ويرى (العطايا) التي في (البلايا)؛ ويستطيع استخراج (الخيرات) من رَجَمِ (الابتلاءات).

ومعظم ما ذكرته سورة يوسف من معالم استقامة يوسف (ρ) المنهاجية جاء النص بحصوله في مرحلة (ما بعد الطفولة)؛ لكن نكاد نجزم أنه (ثمره وحصاد) ما كان من بناءٍ منهاجي في مرحلة الطفولة؛ حيث يعتبر (امتداداً) لما كان فيها (وانعكاساً) له؛ لأنه ربما كانت (مصر) حينها (متقدمة) للغاية (عمرانياً ودينيًا)؛ لكنها كانت (متأخرة) للغاية (إيمانياً ودينيًا)؛ لذا لا يمكن ليوسف (ρ) أن يتلقى فيها (تعليمًا دينياً) أو (بناءً إيمانياً)؛ بل ستكون ميداناً تطبيقياً لِمَا تَعَلَّمَهُ فِي طُفُولَتِهِ فِي (فلسطين)؛ حيث كانت البيئة (مناسبة) والظروف (مواتية) لأن يُبْنَى يَوْسُفَ (ρ)

منهاجياً، ويتعلم من الوحي قدراً كبيراً يكفيه طوال حياته؛ لا سيما والمعلم (نبي ووالد)، والمتعلم (سابقاً وراشد). ونلاحظ في سلوك يوسف (p) دوماً أننا أمام أخلاق (راسخة حاضرة)، ولسنا أمام مواقف (عابرة سائرة)؛ حيث يتصرف (بتلقائية وثبات) مهما تغيرت (الظروف والملايسات)، فذاك (الثبات والرسوخ والاستقرار) من السمات المميزة (للبناء)، أما ذاك (التكرار) بنفس (الطريقة والنظام والالتزام) فمن السمات المميزة (للمناهج). لقد كان يوسف (p) يتصرف بنفس الطريقة طوال الوقت مهما اختلف (المكان والزمان والميدان والإنسان)؛ لدرجة أننا لو رسمنا (خطاً مستقيماً) من أول قصته إلى آخرها؛ س نجد مجموعةً من (الأصول والقواعد) منظومةً في ذلك الخط؛ وهذا ما نسميه (الاستقامة المنهاجية)؛ فالمنهاج عبارة عن "مجموعةٍ من (الأصول والمبادئ) منظومةً في خطٍ مستقيمٍ واحدٍ"؛ وسنعرض فيما يلي بعد الأمثلة على ذلك:

(١) من معالم (الاستقامة المنهاجية) ومهاراتها التي التزم بها يوسف (p) مَعْلَم (الإحسان أو الأحسنية)؛ لذا نجده يستقيم عليه طوال حياته مهما تغير (الزمان أو المكان أو الميدان أو الإنسان). فقد قال (الله) تعالى عنه: **﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾** [يوسف: ٢٢]، وقال أيضاً: **﴿وَوَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [يوسف: ٥٦]، وقال له (صاحباه) في السجن: **﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [يوسف: ٣٦]، وقال له (إخوته) نفس الكلام بعدما تعاملوا معه (مرةً واحدةً)؛ ولم يكونوا يعرفون أنه يوسف (p): **﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [يوسف: ٧٨]، بل قال يوسف (p) عن نفسه: **﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [يوسف: ٩٠].

فذاك أمرٌ قد (بناه) فيه يعقوب (p) حين علّق على الرؤية التي رآها يوسف (p) وأخبره بشكل صريح بأن الله (اجتباها)؛ فاستخلصه نفسه، وجعله من (المُخلصين)^{٢٦}، واختاره واصطفاه لأحسن المنازل والمقامات؛ وكأنه بذلك يوصيه بضرورة التزام (الإحسان والأحسنية)؛ ليكون أهلاً لاجتباء الله له؛ لذا نجد يوسف (p) يقول للمرأة التي راودته: **﴿مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾** [يوسف: ٢٣]؛ ويقول لوالده: **﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾** [يوسف: ١٠٠].

(٢) ومن الأمور اللافتة للنظر أيضاً حالة (الوصال الدائم) المستمر مع الله، (والاتصال الفعّال) به في كل ما يعرض له في الحياة؛ لدرجة أننا يمكننا الجزم أن يوسف (p) كان - بامتيازٍ - (فقيهاً تواصلٍ مع الله). (٣) أما فيما يتعلق (بالمؤنديات) التي في صورة (شهووات ومُلَهيات)؛ فقد كان يعقوب (p) مدركاً أن البدء (بالمنع) والاستمرار فيه شيءٌ (رائع)؛ لكن التعويل عليه شيءٌ (مُرُوع)؛ لأن التعويل على (الممانعة) والممانعة) هو (الأوقع والأأنفع)، فلا بأس أن يكون المنع (وسيلةً وبدائيةً)؛ لكن لا ينبغي أن نغفل عن أن الممانعة والممانعة ينبغي أن يكونا (غايةً ونهايةً)؛ فالتعويل على استراتيجيات (المنع) وحدها لا يُسَعِفُ الإنسان في مواجهة (الفتن والمحن)، ولا يصمد مع تقادم (الزمن).

فلو كان تعويل يعقوب (p) في بناء يوسف (p) على استراتيجيات (المنع) فقط لانهارت صروحها وخارت قواها بمجرد انتقاله لمصر؛ حيث (الشهووات والمُلذات والمُلَهيات)؛ فالبيئة أبعد ما تكون عن الصحة والسلامة (الإيمانية والأخلاقية)، وإن صمَدَتْ في (مصر) كبيئته (عامّة)؛ لن تصمد في (قصر العزيز) كبيئته (خاصة) تم

^{٢٦} قال تعالى عن يوسف (p): **﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾** [يوسف: ٢٤]، وقرأ أبو عمرو وغيره **﴿الْمُخْلَصِينَ﴾**.

فيها (استهداف) كل استراتيجيات (المنع) واختراقها حتى أصبحت (الشهوات) قاب قوسين أو أدنى من يوسف (ρ)؛ قال تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} [يوسف: ٢٣]، وقال: {وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} [يوسف: ٢٥].

تَسَوَّرَتِ الْمَرْأَةُ كُلَّ جُذْرٍ (المنع) وأجهزت عليها؛ وأصبح يوسف (ρ) في مواجهة (الشهوات) التي في أقوى درجات (جاذبيتها)، وأشد درجات (إصرارها) على النفوذ إليه مهما كان الثمن، والنفس البشرية (السوية) بطبيعتها لديها اشتهاً وَمَمِيلٌ (وانجذاب) نحو ذلك المُشْتَهَى (الجذاب)؛ وكل الدواعي (متوفرة)؛ والملابسات تؤكد أن ليس هناك ما يخافه يوسف (ρ) ويخشاه إلا الله.

هنا تهاوت كل حصون المنع (الخارجية)؛ ولو كان التعويل عليها وحدها لوقع المحذور وانتهت القضية؛ لأن (المنع) دوماً يتعلّق بالأطراف الأخرى (الخارجية)، والتي قد تكون سطوتها (قاهرة قوية).

لا شك أن يوسف (ρ) قبل ذلك قد استفرح وسعه في محاولات (الاجتباب والهروب والمنع)؛ لكن جاءت اللحظة التي ستكون (للممانعة) فيها الكلمة العليا في إدارة تلك المعركة، ولم تكن تلك (الممانعة) مجرد موقفٍ عابرٍ سائرٍ؛ بل كانت من فصيلة الخُلُقِ الراسخ الحاضر؛ الذي تتعاقب فيه (الممانعة) مع (المناعة)؛ وتكون فيه الممانعة (ثمرة) دائمةً (لشجرة) المناعة الضارية بجذورها في أعماق القلب.

والدليل على ذلك أن إصرار المرأة ازداد؛ وأصبحت المسألة بالنسبة لها قضيةً مصيريةً؛ فقال النسوة في وصفها: {امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا} [يوسف: ٣٠]؛ فالمرودة مستمرة وهي في تلك الحالة، ولم تستكف أو تستحي من أن تعلن بينهن: {وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ} [يوسف: ٣٢].

لقد أبدت المرأة استعدادها لاستنفاد كل رصيدها من (الإغراء والترغيب)؛ ودعمه بكل ما تستطيعه من (الإجبار والترهيب)، وظهرت المرأة نساءً أخريات ودعمنها؛ فانقلبت القضية من (رغبة فردية) إلى (إرادة جماعية)؛ ولا يمنع هؤلاء جميعاً - في بيئتهن - من تكرار المحاولات مانعاً؛ وما لرغبتهن - ممن حولهن - دافع.

هنا تفرز (المناعة) السوية السليمة المستقيمة ألوأناً (أقوى) من (الممانعة) تتجلى في أن يتضرع يوسف (ρ) لربه، ويستغيث ويستصم به، ويفتقر إليه، وينكسر بين يديه قائلاً: {رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْنُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣]، لم يكن يفرط في حسن الظن بنفسه؛ بل كان يعلم ويعلن أنه (ضعيف) إن لم يقوّه الله.

أي بناءً ذلك الذي سَدَّدَ (تصوراته وتصرفاته)؛ وأورثه (تبصراً وتصبراً)؛ يجعله يؤثر (السجن والأسر) على رفاهية (القصر) التي سيحمل فيها (الوزر)؟! أي بناءً ذلك الذي أزال عن عين (بصيرته) حجاب وضباب (الاشتهاء) الممزوج (بالالتهاؤ)؛ فعصمه من (الإنساء) والاستمرار، ووهن قوى (الاتقاء)!!

لقد جاءت تلك (الابتلاءات والتحديات) في صورة (شهوات وملذات)؛ فأعانت يوسف (ρ) استقامته المنهاجية على أن يراها (مؤذيات) في الوقت الذي ربما يراها غيره (ملذات).

المناعة (الإيمانية المنهاجية) هي مصدر (الإمداد) المضمون الموزون لاستراتيجيات (المناعة)، بل (والمنع)؛ فشتان بين (منع) ناشئ عن (مناعة وممانعة)؛ ومنع عارٍ عنهما!

وإني لأرى أن تلك (المناعة) هي التي أفرزت ما رآه يوسف (ρ) من (برهان) الإيمان؛ الذي أورثه (ممانعة) النسيان والعصيان والكفران؛ فالرؤية هنا (علمية قلبية) لا (عينية)؛ فلَمَّا لاح ليوسف (ρ) ذلك (العلم) في سماء

قلبه، تفاعل معه أحسن تفاعل؛ (فانزجر وعمل) بمقتضاه^{٢٧}.

فذلك البرهان برهان إيماني من الحياء والخشية والمراقبة، شهده بقلبه كأنما يراه بعينه؛ فهو من آثار العلم والحكمة؛ لأن الله قد وصف يوسف بالإحسان؛ والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ فقد كان ذلك (البرهان) - الذي شهده بقلبه فأراه العواقب والمآلات - حاجزاً له عن (الهمّ) المفضي إلى (العزم) على الصحيح؛ فإنه لولا ذلك البرهان لوقع (العزم).

المبحث الثاني: أبرز آثار القرآن في البناء المنهجي للطفل

المطلب الأول: أحسن المصادر.

الوحي هو الأنسب على الإطلاق للبناء المنهجي للطفل؛ فهو (أحسن مصادر) الإمداد والإرواء (بأحسن) المعلومات والتجارب والخبرات النافعة (المغذيات)، وأحسن مصادر الإمداد والإرواء (بالمفاهيم والمهارات والأدوات والخبرات) التي تعين الإنسان على (أحسن استعمال واستثمار) للمغذيات في (الصناعة).

وهو أيضاً أحسن مصادر الإمداد والإرواء (بالمفاهيم والمهارات والأدوات والخبرات) التي تعين الإنسان على (أحسن إبعاد واتقاء) للمؤذيات، وتؤمن له كل ما تحتاجه وتستلزمه (الصيانة) منها.

لذا فينبغي أن يكون (الوحي) هو (المصدر) الأول الذي (نرجع ونتحاكم) إليه (وننتقل) منه فيما يخص كل (أصول وتفصيل)، (وحقائق ودقائق)، (ومفاهيم ومهارات) الأمر الذي نتناوله.

فلا يمكن للإنسان أن يشرع أو يستقيم، في (البناء) أو (التعليم) أو (الإصلاح) أو (التقويم) إلا بالاستقاء من (مصدر) للمعلومات والمفاهيم، سواء كان هذا المصدر من النوع الصحيح (السليم)، أو الفاسد (السقيم)، وتلك المسألة (بديهية)، وهي ضرورة وحقيقة (وجودية)، مركوزة في فطرة الإنسان، ويباشرها تلقائياً بصرف النظر عن تنوع المكان أو الزمان أو الميدان.

والإنسان ببساطة بين خيارين: إما أن يكون مصدره (رياني)، وإما أن يكون (إنساني أو شيطاني)، أو بعبارة أخرى (النفس وشياطين الجن والإنس)، وطبقاً (لنوع) المصدر، (وخصائصه) من ناحية (الصحة والصلاحية)، (والأمان والاتزان)، يكون وصفه بأنه (كامل سليم) أو (ناقص سقيم)، ونوع المصدر ووصفه يحكم وينظم (نتائج ومخرجات) العملية البنائية أو التعليمية أو الإصلاحية أو التقويمية.

والمفترض أن المسلم الذي (ارتضى الله رباً) يكون لديه (توحيد) لا يخالجه أدنى (شك أو شرك) في قضية (المصدرية)، خلاصته أن المصدر المقبول والمأمول هو المصدر (الرياني).

أما المصدر الإنساني أو الشيطاني (الصادر عن النفس أو شياطين الجن والإنس) هو عبارة عن (آراء عقلية) أو (أهواء عاطفية) لا تخلو تماماً من (غياب أو اضطراب) في الأمان أو الاتزان أو الصحة أو الصلاحية.

^{٢٧} قال ابن تيمية في أمراض القلوب (ص: ٨): "وَهُوَ بَرهَانُ الْإِيمَانِ الَّذِي حَصَلَ فِي قَلْبِهِ"، وقال المنار (١٢/٢٣٠):

"فَيُوسِفُ قَدْ رَأَى هَذَا الْبَرهَانَ فِي نَفْسِهِ، لَا صُورَةَ أَبِيهِ ... وَأَمْثَالَ هَذِهِ الصُّورَةِ"، وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير

(١٢/٢٥٤): "وَالرُّؤْيُ: هُنَا عِلْمِيَّةٌ".

وتلك المصادر (غير الروائية) لديها (محدودية) في نطاقاتها الإنسانية والزمانية والمكانية والميدانية والبيانية، فلم (تستوعب) ولا شك كل إنسان وزمان ومكان وميدان وبيان، وما يصلح منها لإنسان أو زمان أو مكان أو ميدان أو بيان (لا يصلح) للآخر.

أما المصادر (الروائية) فهي صادرة عن (خالق ومالك) الإنسان والزمان والمكان والميدان والبيان، الذي (له) "وحده" كمال الإيجاد والإعداد والإمداد والإسعاد، بلا أدنى تقييد أو (محدودية)، وبغاية (اليقين والموثوقية) في الأمان والالتزان والصحة والصلاحية.

لذا فإن تلك المصادر (الروائية) لو اهتدى العبد لها، لا يكتمل (انتقاعه واستمتاعه) بها إلا بأن يتعامل معها بمنهاج (توحيدي) يتجلى فيه (الاستكفاء والاستغناء) بها عما سواها بلا أدنى (تردد أو شك)، يتعانق مع (نقاء الاستقاء) منها بلا أدنى (خلط أو شرك)، يتعانق مع تمام (الاستقصاء والاستقراء) لما جاء فيها بلا أدنى (انتقاء أو ترك). ولا بد أن نصرف لتلك المصادر ما تستحقه من (الحاكمية)، وتدرك قدرها وموقعها من حيث (درجة المشروعية)، فتتعامل مع ما جاء فيها على أنه (للإلزام) لا لمجرد (الإعلام)، وعلى أنه (أساس فوق الراس) وليس لمجرد (الاستئناس).

ولا يتوهم أحد أننا نقف موقفاً (مُتَطَرِّفاً أو مُتَعَسِّفاً أو مُتَكَلِّفاً) من المصادر (الإنسانية)، نحن نحاول (ترتيب) الأمور (وَرَدِّها) لِنَصَابِها، (ومناهضة) الظلم (وَرَدِّ) الحقوق لأصحابها، فالمصادر (الروائية) ينبغي أن تكون لها (الأولوية والحاكمية) على المصادر (الإنسانية).

ينبغي أن تكون المصادر الروائية (حاكمة لا محكومة) أما المصادر الإنسانية فلا بد أن تكون (خادمة لا مخدمة)، فلا يمكن أن نأخذ كل ما جاء في المصادر الإنسانية (بالكلية)؛ لأن بها العديد من (الإشكالات المنهجية)، أبرزها المحدودية، والغياب أو الاضطراب في الأمان والالتزان والصحة والصلاحية.

فمرحباً (ببعض) ما جاء في المصادر (الإنسانية)، لكن شريطةً (ألا يتعارض) مع شيء مما جاء في المصادر (الروائية)، وأن يراعي ما تتمتع به من (خصوصية)، وأن تكون له (فائدة خادمة داعمة) لأصولها الحاكمة الناعمة. وحين نسي الإنسان (نفسه)، وأغفل - عامداً - (محدوديته ونقصه)، توهم أن لديه من (العلم الشامل الكامل)، ومن القدرة (الفائقة المطلقة) ما يؤهله لأن يصبح مصدرًا (كاملاً شاملاً)، ومرجعاً (نافعاً دافعاً رافعاً)، فصَبَغَ نفسه بصفات (الخالق) رغم أنه (مخلوق)، وصفات (المالك) رغم أنه (مملوك)، وصفات (الرب) رغم أنه (مربوب)؛ فألّه - تصرّيحاً أو تلميحاً - نفسه، وعظّم شخصه.

فتوهم أنه يمكنه أن (يستقل) عن (الله)، ويعد وقت بدأ يتوهم أنه يمكنه أن (يكتمل) بعيداً عن الله، ويعد وقت تمادى في طغيانه فتوهم أن المصدر الروائي فيه أشياء بحاجة إلى أن (تُجَمَل) أو (تُعَدَل) أو (تُبَدَل)، ثم تجرأ على أن يُعلن أنه (لا حاجة له مطلقاً) بالمصدر الروائي، وأن لابد أن (يُسْتَبَدَل)؛ ولذلك أعمل الإنسان في المصادر (الروائية) أنياباً (أثمة ظالمة) أرادت أن تجعلها فريسةً (للتحية والتترك)، أو (التردد والشك)، أو (الخلط والشرك)، ووجّهت (سهامها وأقلامها وأفهامها) لمناهضة ما تستحقه المصادر الروائية من (أولوية وفوقية)، (ومركزية وحاكمية).

وصدق ربنا سبحانه ويحمده إذ يقول: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ} (العلق: ٦، ٧)، يطغى وينسى أن (مصدر) كل خير هو (الله)، وأن مرجعه إلى (الله) {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} {العلق: ٨}، بمجرد أن (يتوهم) الإنسان الاستغناء، وينسى ما هو فيه من (نقصان)، يقع في الطغيان والكفران، وينسى ما لربه من

فضل وإحسان، فما أبشع وأشنع سلوك ذلك الإنسان!!!

والمؤسف أن الطغاة الظالمون الآثمون أطلقوا (حملات)، وأعلنوا (دعوات)، وجَدَّت رواجاً بين طائفة من (عملاء الأعداء)، (وغيران البلاء) حملوا مشعلها، وتولّوا كبرها، وتحالفوا مع أشرارها، ليُمهّدوا الطريق لها، تارة

(بالتبليس والإغراء)، وتارةً (بالطغيان والافتراء)، وأسفٌ يأسفُ منه الأسفُ أن بعض (المُسْتَغْفَلِينَ) من المسلمين (المنهزمين المغرورين) وقعوا فريسةً لذاك الإغراء، وتورطوا في ذاك البلاء، وخآلت عليهم (ضلالات) عملاء الأعداء، فاستجابوا أولاً لدعوات (الخلط والشرك)، فأصبح الطريق ممهداً للاستجابة لدعوات (التردد والشك)، ثم (التحية والترك)، فلا (مركزية)، ولا (حاكمية)، ولا (أولوية)، ولا (فوقية).

فَلَكُمْ أن تتخيلوا كيف سيكون (حال ومآل) ذاك الإنسان، الذي أصبح يعيش في الحياة (هاجراً تاركاً) لِمَا جاءه من الرحمن!!! ضَلَّ أولئك المسلمون مَعَ مَنْ (ضَلَّ)، وَزَلُّوا مَعَ مَنْ (زَلَّ)، وَسَقَطُوا - مع الغريان - في المستنقع (الأرذل)، بعدما كانوا في المَوقِع (الأكمل الأَجْمَل).

ولا عجب، فكيف يستهدي عاقلٌ (بمصادر) جاهلٌ ضالٌ مثله، ربما كان (أجهل وأضل) منه؟ وكيف يستقوي (بمصادر) ضعيفٌ مثله ربما كان (أضعف) منه؟ وكيف يستغني (بمصادر) فقيرٌ مثله ربما كان (أفقر) منه؟

الفرق بين المصادر الربانية والمصادر الإنسانية، كالفرق بين الرحمن والإنسان، أين (علم وقوة وغنى) ذاك (الإنسان) بالنسبة (لعلم وقوة وغنى) ربه (الرحمن)؟

فأمل أن تدركوا أن قضية (المصدرية) ليست مسألةً نظرية أو فلسفية، بل مسألة (وجودية مصيرية)، ترتبط ارتباطاً وثيقاً (بالهوية والخصوصية)، ولها العديد من الانعكاسات والامتدادات (الواقعية والحضارية).

هذه القضية (فرقانية) بين الرؤية الإسلامية وغير الإسلامية (لاسيما العلمانية والليبرالية)، بل فرقانية بين العديد من المنسويين للرؤية الإسلامية، فمعظم المسلمين يُقَرِّون (قولياً) بأن المصادر الربانية هي (أحسن) المصادر، وأنه ينبغي أن تكون لها (الأولوية والحاكمية)؛ لكنهم (عملياً) يخالفون ذلك، ويحتاجون في هذه المسألة (للتوحيد) يستلزم (التمجيد والتجريد):

○ تعظيم وتمجيد المصادر الربانية لدرجةٍ تدعو إلى (الاستكفاء والاستغناء)، ونبذ أي صورة من صور (التحية والترك، أو التردد والشك).

○ وتنزیه وتجريد تلك المصادر من أي شوائب (انتقاء أو خلط أو شرك) تُعَكِّرُ صفو (نقاء الاستقاء)، أو تحول بينهم وبين (الاستقصاء والاستقراء).

✍ ما قدروا الله حق قدره:

إن مما ينبغي تقريره والتأكيد عليه أنه مسألة اعتبار (الوحي هو مصدر الاهتداء)، وأن (المنهاج هو منهاج الأنبياء)، لا ترتبط فقط بعلاقة الإنسان (بالأنبياء) أو (صفحات القرآن والسنة)، وقد كل ذلك عنده، ومقامه في قلبه، بل ترتبط في الأساس (بعلاقته بالله)، ويقدر الله عنده، ومقامه في قلبه.

ينبغي فهم الأمور على حقيقتها، وتحليل الظاهرة من جذورها؛ لأن الإنسان الذي نَحَى الوحي كمصدر للاهتداء (كلياً أو جزئياً) أو سَوَاهُ بغيره، لديه أزمة - ولا شك - في (تقدير الله حق قدره)؛ لا سيما وهو يعلم أن الله سبحانه وبحمده أوصى (باتخاذ الوحي مصدراً)، ونهى عن كل (تحية وتُرْك)، وعن كل (تسوية وشك)، وعن كل (خلط وشرك).

لا ينبغي النظر للمسألة على مستوى نظرة الإنسان ومعرفة (بالأشخاص أو البرامج أو المناهج)، بل ينبغي النظر لها على مستوى نظرة الإنسان وعلمه ومعرفة (بالله سبحانه وبحمده)؛ حيث لا يمكن للإنسان قط أن يُقَدِّم على الوحي غيره، أو يَسْتَبْدِلُهُ أو يُسَوِّيه به، أو يُشْرِكُهُ معه، وهو يعرف الله (حق المعرفة)، ولديه (العلم الكافي) به. لو كان لديه (العلم الكافي) بالله، وعلمه، وحكمته، وخبرته، وإحاطته، وقدرته، وعزته، ومظاهر تفردته ووحدانيته وعلوه وعظمته لَمَا كان لديه أدنى (إهمال أو إشكال) في توحيد الوحي (كمصدر)، وتوحيد منهاج

الأنبياء (كمنهج)، ولا يعني ذلك أن العبد ليس لديه (معرفة)؛ لأنه ربما كانت لديه معرفة، لكنها (قاصرة) لا (مُثَمَّرَة)، أو (تالفة) لا (مُسَعَّفة).

لقد أدركتُ أن كل مجهوداتنا لمكافحة (تتحية الوحي)، وإحياء وبعث (مركزيته) مجرد مجهودات في منطقة (الأعراض) الظاهرة الفرعية؛ وليست في منطقة (الأمراض) الباطنة المركزية؛ لأن (العلم الكافي) بالله، وتقديره (حق قدره) هو لبُّ القضية، وهو المسألة الفاصلة الجوهرية.

في سورة الأنعام تَحَدَّثَ ربنا سبحانه ويحمده عن الاهتداء والمهتدين ثم أكَّدَ أن الإعراض عن الوحي كمصدر للاهتداء، وعن الاقتداء بمنهاج الأنبياء، إنما سببه في الحقيقة أن أولئك المعرضين لا يقدر الله حق قدره؛ فيقول تعالى: {لَوْ مَا قَدَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: ٩١].

فذاك الذي يأخذ ما يخص مشكلات وتحديات (بناء الإنسان أو تربيته أو علم نفسه أو اجتماعه) من مصادر (غير ربانية) كأنه بلسان حاله يقول: "ما أنزل الله في هذا الأمر من شيء"، فهو بلسان حاله عملياً (يتوهم أو يزعم) أن الله (أغفل أو أهمل) هذا الأمر، أو أن ما أنزله فيه (لا يكفي أو يناسب ويشفي)، وفي كل الأحوال ينتج ذلك عن أنه (لا يقدر الله حقَّ قدره)، لا يدرك ذلك (الجاهل الغافل)، (الزاعم الواهم)، أن الوحي نورٌ وهدى للناس؛ نورٌ في كلِّ (اشتباهٍ وظلمة)، وهدى في كلِّ (أزمةٍ ومُلمَّة)؛ فيقول تعالى: {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ} [الأنعام: ٩١]، ويقول: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} [الأنعام: ٩٢]؛ ليؤكد أيضاً أن ما ذكره سابقاً فيما يخص المصدر الرباني (التوراة) ينطبق على (القرآن)، المصدر (المبارك) الجامع لخيرات كل ما سبقه من المصادر الربانية.

فنحن أمام مصدر جعله الله سبباً لصيانة وثبات الموجودات، والتزده والنجاة من المُكدرات والمُنغصات، والنماء والزيادة في الخيرات، وأكَّدَ أن بركات وخيرات ذلك المصدر ليست لها محدودية (مكانية) أو (إنسانية)، عطفاً على تأكيده السابق أنه ليست لها محدودية (زمانية)؛ فيقول: {لَوْلِئِنَّدَرَّ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأنعام: ٩٢].

الفرع الأول: تحدي (الاهتداء).

من أكبر التحديات التي تواجه الإنسان - إن لم تكن الأكبر - تحدي (الاستهزاء)؛ لأن (الضلال) من أخطر - إن لم يكن أخطر - ما يهدد الإنسان على الإطلاق؛ لذا (فَرَضَ) الله على الإنسان أن يسأل الله (قولياً وقلبياً وعملياً) - مراتٍ عديدة في اليوم الواحد - أن (يهديه) الصراط المستقيم (علماً وعملاً)، ويظهر تحدي (الاستهزاء) في حياة الإنسان في ميدانين أو على مستويين؛ الأول (مصدر الاهتداء)، والثاني (منهج الاهتداء).

يقول ربنا في الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ"^{٢٨}.

فمما يخبرنا به ربنا سبحانه ويحمده في هذا الحديث القدسي أن الإنسان لو لم يسأل الله الهداية (قلبياً وقولياً وعملياً)؛ فإنه سيضل لا محالة؛ لأنه الله سيركه لنفسه فيستحق الضلالة، ولن يتمكن أحدٌ أبداً من أن يدفع عنه ذلك الضلال، ولقد فقه ذلك نبي الله إبراهيم (p) فقال: {لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} [الأنعام: ٧٧]، وكان النَّبِيُّ (p) يردد يَوْمَ الْخُنْدَقِ: «اللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْتُمْ، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا...»^{٢٩}.

^{٢٨} صحيح مسلم: ٥٥ - (٢٥٧٧)، وفي مسند أحمد (٢١٤٢٠)، وصححه الأرنؤوط: "يَا بَنِي آدَمَ كُلُّكُمْ كَانَ ضَالًّا إِلَّا

مَنْ هَدَيْتُ".

^{٢٩} صحيح البخاري (٤١٠٤)

والخلاصة أنه ليس هناك أمان للإنسان، من الضلال الذي يترتب عليه الحيرة والتوهان، أو الذي يترتب عليه الغفلة والنسيان، أو الذي يترتب عليه الخطأ والعصيان، أو الذي يترتب عليه الكفران والنكران، أو الذي يترتب عليه الهلاك والخسران، سواء صدر من بني الإنسان أو من الشيطان، إلا باستهداء الرحمن، والعناية بمعاني القرآن؛ ولذا قال سبحانه وبحمده: {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: ١٢٣]

ولقد أتت ربنا جل جلاله على نبينا (p)، فقال: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم: ٢، ٣]، ثم أخبرنا سبحانه أن سبب ذلك هو كمال انتقاعه بالوحي (تعلماً وعملاً)؛ فقال بعدها: {إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} [النجم: ٤، ٥].

وأخبر ربنا سبحانه أن التعامل السديد مع القرآن (علماً وعملاً) كان هو السبب في نجات العرب عموماً والصحابة ٧ خصوصاً من الضلال المبين؛ فقال عن العرب: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: ٢]، وقال عن الصحابة رضي الله عنهم: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤]

لذا من التحديات والإشكاليات البنائية الكبيرة قضية (المصدرية)؛ لأنه لا بد من (مصدر) لعملية البناء الإنساني (تتعلق) منه، (وتلتزم) به في (التأهيل والتشغيل)، والابتداء والاستواء والانتهاج، والإعداد والإمداد، وكل أركان العملية البنائية تنفر إلى (مواصفات) منها ما هو سمات أو (مؤهلات) ومنها أدوار أو (مهمات)، ولابد من (مصدر) أو (مرجع) يتم الاعتماد عليه والتحاكم إليه في (التبصر) بتلك المواصفات، (والتبصر) على إحلالها في الواقع العملي على مختلف المستويات.

وبالنسبة للمسلم، فمسألة سداد ورشاد (المصدرية) ليست مسألة (اختيارية) بل هي مسألة (الزامية)، وذلك الإلزام (خارجي وداخلي)؛ لأن الله قد (ألزم) المسلم بأن يكون الوحي مصدره ومرجعه (الوحيد)، والمسلم قد (اختار وارتضى) بل (واقتخر) بذلك الإلزام؛ لإيمانه بأن الوحي في غاية (الصحة والصلاحية)، (والأمان والاتزان)، (والعظمة والإحكام)، فقد أمرنا ربنا سبحانه وبحمده أن نعتقد (قلبياً) ونتبع (عملياً) ونصدع (قولياً) بقوله تعالى: {قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى} [البقرة: ١٢٠]، [الأنعام: ٧١]، وقوله تعالى: {قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ} [آل عمران: ٧٣]، فلا تؤثر على الوحي غيره، ونعتقد أن ما جاء فيه للإلزام لا لمجرد (الإعلام).

والمسلم يفعل ذلك طمعاً في أن يحصل لنا ما وعد الله به في قوله تعالى: {فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٣٨]، وقوله تعالى: {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: ١٢٣].

ولقد وصف الله القرآن بأنه {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢]، وبأنه {هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٥٢]، وبأنه: {هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [النمل: ١، ٢]، وبأنه: {هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ} [لقمان: ٢، ٣]، وبأنه: {هُدًى وَشِفَاءً} [فصلت: ٤٤]، وبأنه: {هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ} [الزمر: ٢٣].

وقال (p): "أَلَا وَآيَاتِي تَارِكٌ فِيكُمْ تَقْلِينَ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ"^{٣٠}، وَقَالَ (p) أَيْضاً: "تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ

بهما: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي^{٣١}، وقال (p): «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ (أي: حبل) طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضَلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»^{٣٢}.

بل إن هناك نعمة أعظم، إنها باختصار (هداية القرآن للتي هي أقوم)؛ الله أكبر! إنه لا يهدي (للقيم) بل للتي هي (أقوم)، ولا يرشد ويسدد للصواب بل للتي هي أصوب؛ يقول ربنا: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩]، إنه ليس خبيراً عادياً، بل هي حقيقة مؤكدة لا مرية فيها، ويراد لها أن تكون يقينا جازما يعيش المسلم في كنفه ويتحرك انطلاقاً منه، والبناء اللغوي للجمله نفسه يشهد بذلك؛ {فإن} حرف توكيد^{٣٣}، وتم استخدام الضمير المنفصل {هذا} لإضفاء المزيد من التوكيد والتعظيم^{٣٤}.

إن الآية تؤكد أن تلك الخاصية الفريدة التي تميز بها القرآن، ليست من نصيب بعض الآيات دون البعض الآخر، بل هي خاصية أصيلة في كل آيات القرآن دون استثناء؛ ولعل هذا من أسرار قول الله عزوجل {القرآن}؛ فنحن لا نتكلم هنا عن خاصية لبعض أجزاءه فقط، بل نتحدث عنه كوحدة واحدة حازت هذا الوصف.

وعلى روعة وعظمة الهداية للتي هي أقوم، لكننا نطالع ملمحاً آخر من ملامح التفرد في استخدام الفعل المضارع {يهدى}؛ والذي يشير إلى أن تلك الهداية لم تكن خاصية ماتت، ولا ميزة فانتت، بل هي خاصية باقية بقاء القرآن لا تنفك عنه في أي زمان، ولا تتخلف في أي حين من الأحيان.

ثم إن عدم ذكر أولئك الذين سيهديهم القرآن على التعيين؛ ليؤكد أن هداية القرآن، لا تتخلف عن أي إنسان^{٣٥}، بل هو الذي يتخلف عنها بما يتلبس به من الصدود والإعراض والعصيان^{٣٦}؛ إن القرآن كما أخبر ربنا {هدى للناس}. لكن ما هو نطاق تلك الأشياء التي يهدي فيها للتي هي أقوم؟ هل في المجال التربوي؟ أم في المجال النفسي؟ أم في المجال الفكري؟ أم في المجال الاجتماعي؟ أم في المجال الاقتصادي؟ أم في المجال السياسي؟ إن القرآن يبهتنا، فيخبرنا، أنه يهدي للتي هي أقوم في كل شيء، ولا يختص بمجال دون مجال، أو أحوال دون أحوال.

وتلك الهداية التي يقدمها القرآن، هداية للتي هي أقوم من الأقوال، وللتي هي أقوم من الأفعال والأعمال، وللتي هي أقوم من الأحوال، وللتي هي أقوم من الخصال والخلال^{٣٧}. الله أكبر! إن هذه الآية العظيمة تُحطِّم كل حواجز الهداية للتي هي أقوم، وتقدمها في أوسع نطاقاتها، وتعلن

^{٣١} مختصر العلو (ص: ٦١)، صحيح الجامع (٢٩٣٧، ٣٢٣٢)

^{٣٢} السلسلة الصحيحة (٧١٣)

^{٣٣} انظر: التحرير والتنوير (٤٠ / ١٥)

^{٣٤} انظر: روح المعاني (٢٢/٨).

^{٣٥} انظر: تفسير أبي السعود (٥ / ١٥٨)، روح المعاني (٢٢ / ٨)

^{٣٦} انظر: تفسير القشيري (٢ / ٣٣٨).

^{٣٧} انظر: البسيط (١٣ / ٢٦٩)، زاد المسير (٣ / ١٢)، التسهيل (١ / ٤٤٢)، تفسير الشعراوي (١٤ / ٨٣٨١).

أن كل آيات القرآن تقدم الهداية للتي هي أقوم التي لا تختص بمكان دون مكان، ولا بزمان دون زمان، ولا بإنسان دون إنسان، ولا بميدان دون ميدان^{٣٨}.

إنه شيء جميل حقاً أن يكون القرآن هادياً للتي هي أفضل! لا يا سيدي ليست الهداية للتي هي (أفضل) فقط، إنها هداية للتي هي (أقوم)، وفرق كبير بينهما، فالأقوم في الأساس هو الأكثر استقامة والأعدل والأشد والأصوب والأسد، فعندنا (أقوم) وعندنا أقل منه منزلة (قيم) كأن نقول: عالم وأعلم^{٣٩}، إنها باختصار هداية للتي هي أقوم علماً (أكثر رشاداً)، وهداية للتي هي أقوم عملاً (أكثر سداداً).

ومن ناحية الاشتقاق اللغوي فإن لفظة {أقوم} تشير إلى أمور أخرى؛ تعود كلها إلى معنى الاستقامة وهي متضمنة فيها، فتكون هداية القرآن للتي هي أقوم^{٤٠}:

- (١) هداية للتي هي أكثر ثباتاً ودواماً، فالقائم على الشيء الثابت عليه.
- (٢) وهداية للتي هي أعلى قيمة وقدرًا، فالقيمة: ثمن الشيء بالتقويم.
- (٣) وهداية للتي هي أكثر إقامة للشيء وإتماماً له، فالقوام من العيش: ما يُقيمك ... وقوام كل شيء: ما استقام به.
- (٤) وهداية للتي هي أكثر تقويماً للإنسان وإصلاحاً له؛ فأقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام، والاستقامة اعتدال الشيء وسنواؤه.

- (٥) وهداية للتي هي أيسر للإنسان وفي طاقته؛ فإذا لم يُطق الإنسان شيئاً قيل: ما قام به.
- (٦) وهداية للتي هي أظهر وأوضح؛ فأقوم تفضيل مشتق من القيام الذي هو بمعنى الوضوح والظهور.
- (٧) وهداية للتي هي أنفع؛ فالأقوم: الأفضل في التقوي الذي هو عدم الإعوجاج والالتواء واستعير أقوم للأفضل الأنفع.

ما أروع تلك الآفاق التي تفتحها تلك الآية أمام أصحاب الهمة العالية الذين لا يرضون بالجمال وإنما يريدون الأجل، ولا يرضون بالكمال وإنما يريدون الأكمل^{٤١}!! إن تلك الآية تقدم كنزاً ثميناً للطمحين الذين يرغبون في معانقة السحاب ومصافحة الثريا، إنها تتاديهم "لقد وجدتم ما تمنيتم، فارتقوا به إلى ما أردتم".

الفرع الثاني: تحدي (الإحياء).

إن الوحي له طبيعة متميزة للغاية وفريدة جداً في مسألة (الإحياء)، وله خصائص تجعل الإنسان لا يفكر في غيره إن رام الحياة الحقيقية، ولم لا؟! والوحي الكريم مصدره هو الحي القيوم، الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، ويبيده الملك والملوك.

^{٣٨} انظر: مجالس التذكير (ص: ٤٩)، أضواء البيان (٣/ ١٧)، الظلال (٤/ ٢٢١٥).

^{٣٩} انظر: البسيط (١٣/ ٢٦٩)، أضواء البيان (٣/ ١٧)، تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٣٧٦).

^{٤٠} انظر: لسان العرب (١٢/ ٤٩٨)، التحرير والتنوير (٥/ ٧٧)، (٢٩/ ٢٦٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣١٩)، نظم الدرر

(١١/ ٣٨٠).

^{٤١} انظر: تفسير السعدي (ص: ٤٥٤)، القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص: ٩)، (ص: ١٤٦).

قال الله: **لَوْ كَذَّبَكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا^{٤٢} مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَأَنْتَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** {الشورى: ٥٢}، إن الوحي بخصائصه النورانية (التي تهدينا وتعضنا من الضلال والشقاء) وخصائصه الروحية (التي تدفعنا للتطهير والارتقاء) من شأنه أن يصنع أكمل إنسان، ويصلح كل زمان ومكان، لكن طريقة تعاملنا القاصرة الخاطئة معه، حرمتنا من بركاته وآثاره، وأنواره وأدواره.

قال الله: **لَاؤْمِنُ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** {الأنعام: ١٢٢}، قال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/٤٢): **"فَأَحْيَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَرُوجِهِ الَّذِي هُوَ وَحْيُهُ وَهُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ، وَجَعَلَ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ بَيْنَ أَهْلِ الظُّلْمَةِ ... فَهُوَ يَرَى أَهْلَ الظُّلْمَةِ فِي ظُلُمَاتِهِمْ وَهُمْ لَا يَرُونَهُ، كَالْبَصِيرِ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَ الْعُمَيَّانِ"**

وقال الله: **لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** {الأففال: ٢٤}، إن ربنا يحيي الأرض الموت؛ ويزينها بالنبات، ويبث الروح في الجمادات؛ أفنستعد أن يبعث كلامه الحياة في القلوب، وأن ينشر أنواره في جميع الدروب؟! ومع كل ذلك نجد الناس اليوم يجوبون البلاد أرضاً أرضاً، ويقلبون النظر في المقروآت والمسموعات والمرئيات طولاً وعرضاً؛ طلباً للراحة والسعادة؛ ولهناً وراء التميز والريادة، يحلمون بالنجاح والفلاح، ويتشوفون إلى الصلاح والإصلاح، لكن للأسف لا يُحصلون من ذلك قدرًا ينفع أو يغني، وعلى أحسن الأحوال لا يحققون قدرًا يناسب ذلك السعي الحثيث.

ولأن الله لن يُزِلَّ بعد القرآن كتاباً آخر، ولن يبعث بعد محمدٍ رسولاً آخر، وبما أن الله يعلم أن ذلك يحصل، ولا يخفى عليه منه خافية، إذن لابد أن يكون الوحي قد جاء بأفضل ما نواجه به تلك المشكلات، ونقطع به دابرهما؛ قال ربي سبحانه وبحمده: **لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ** {النحل: ٨٩}، لكننا للأسف الشديد لما أهملنا معاني الوحي (علمًا وعملاً)، غفلنا عن أن (كل مشكلة نحيها سببها آية أو سورة أهملناها أو منهجية ما راعيناها).

فلما شرعنا في المواجهة والمكافحة، انطلقنا من مصادر غير الوحي، وسلطنا طرائق ومنهجيات غير طريقة الوحي ومنهجيته، فنحن في مراتب، وأخفقنا في أخرى؛ فتوهم البعض أن الوحي (انهزم) والحقيقة أن بعض من ينتسبون إليه هم الذين انهزموا.

الفرع الثالث: تحدي الاستكفاء والاستغناء.

ومن العجيب أنك تجد معظم - إن لم يكن كل - المسلمين يُقَرُّون بأحسنية وأفضلية الوحي كمصدر على مستوى (المزاعم والأقوال)، لكن الكثير منهم يخالف ذلك على مستوى (الأفعال والأحوال). فبعضهم (يُنْحَى) الوحي أصلاً على مستوى المصدرية، (ويستبدل) الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيعتمد بدلاً منه مصادر (بشرية وضعية)، مستوردة أو محلية، وربما كانت في بعض الأحيان مجرد (آراء) وتصورات، (وأهواء) وانطباعات شخصية؛ فيؤثر (الهوى) على (الهدى)، (والوهم) على (العلم)، (والظنون) على (اليقين)، (والنظريات) البشرية على (الحقائق) الربانية، فيستوردون لأنفسهم ولغيرهم (نظريات ومناهج وبرامج) ربما كان (مصدرها) أولئك الذين يخالفونهم فيما يعتقدونه من مركزية (التوحيد) ومركزية (الآخرة) ومركزية (الوحي).

^{٤٢} قال السعدي في تفسيره (ص: ٧٦٢): "سماه روحاً، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب

والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير"

فربما كان أصحاب تلك المناهج أو البرامج التي استوردوها (ملاحدة، أو علمانيين، أو مخالفين في العقيدة والدين)، لا يقيمون (الله ولا للدار الآخرة ولا للوحي) شأنًا، ولا يكثرثون (بموافقة أو مخالفة أو حتى مراعاة) الأصول الربانية الكبرى في مناهجهم أو برامجهم التي وضعوها.

ولا تكاد (منتجات) أولئك المُصدِّرين تخلو من نزعات علمانية أو إحادية أو شركية؛ فمثلاً: لا يصرحون بأن الله غير موجود، لكنهم يتعاملون معه في منهجهم كأنه غير موجود، فلا ينسبون له ما يستحقه من الإيجاد والإعداد والإمداد والإسعاد، وينسبون ذلك للمجهول، فيقولون مثلاً: (تشكلت السحب، ونزل المطر)، ويتحاشون ذكْرَ مَنْ شَكَّلَ وَنَزَّلَ سبحانه وبحمده، وبعضهم ينسب الظواهر الكونية والحقائق الوجودية لكل أحدٍ إلا الله وحده، مرةً يقول: "الطبيعة"، ومرةً يقول: "غيرها"، المهم عنده ألا يقول: (الله).

وإذا تحدث أحدٌ في أبواب العلم عن (الله) أو (الآخرة) أو (الدين)، يُرْعَوْنَ وَيَزِيدُونَ وَيَتَضَجَّرُونَ وَيَنكُرُونَ؛ ويتهمون خطابه بأنه يخالف الأصول والقواعد العلمية؛ بل يطالبونه صراحةً بالالتزام بقواعد (العلمانية)^{٤٣}.

ولذا فلا مجال، ولا ينبغي بحال، أن يكون (المصدر) أولئك الذين يخالفوننا فيما نعتقد من مركزية (التوحيد)، ومركزية (الآخرة)، ومركزية (الوحي)؛ وكما أسلفنا فإننا لا نقف من المصادر الأخرى موقفاً منطرفاً، فلا مانع من الاستفادة منها، لكن ليس في (الأسس) ولا (الأصول) ولا ما ينافي (خصوصيتنا) وهويتنا.

والانتفاع بالوحي كمصدرٍ شرطه (الاكتفاء به والاستغناء)، فلقد أنكر ربي سبحانه وبحمده على أولئك الذين لا يكتفون بالوحي، ولا يستغنون به عما سواه، ولا يستشعرون ما فيه من (الرحمة) والذكرى، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال ربي سبحانه وبحمده لحبيبي P ولنا من ورائه، مطالباً بالاكْتفاء والاستغناء بالقرآن عما سواه: ﴿وَلَوْ قَدَّرْنَا نَبَأَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٧ - ٨٩].

الفرع الرابع: تحدي نقاء (الاستقاء) وكمال (الاستقصاء).

كان كلما أراد (الارتواء)، وتملكته الرغبة في (الاستقاء)، ذهب إلى (مكان ما) بالقرب منه بينغي فيه (الماء)، وعلى مسافة من ذلك المكان (القريب) الذي فيه الماء، كانت هناك (مصادر) يتم منها الاستقاء. لطالما كان يشعر أن هناك شيء غريب في ذلك الماء، وأنه دون ما كانوا يكيلونه له من عبارات (الثناء)، لكنه كان لا يبالي بهذه الأشياء، طالما أسهم ذلك الماء في تحقيق الارتواء، ولم يكن يظن أنه في الإمكان أفضل مما كان.

بين الفينة والفينة تراوده (هواجسٌ ووساوس) تتعلق بالموثوقية في (المصدرية)، (والصحة)، (والصلاحية)، هواجسٌ ووساوس تتعلق (بنقاء الاستقاء)، وكذلك (بالاستقراء والاستقصاء)، كانت تلك (الهواجس والوساوس) تقول له:

☞ ماذا إذا كانت هناك (شوائب) في المصدر الذي يأتون منه بالماء؟

^{٤٣} والعلمانية مهما حاولوا تجميل وجهها القبيح، ومهما حاولوا التلبيس علينا بأن لها نصيب من الوجه المليح، فإنها تنادي في حقيقتها (تأصيلاً وتنزيلاً، ونظرية وتطبيقاً) باللا دينية، وفصل (الدين عن الحياة)، وحبسه في الدور والصدور والسطور، ومكافحة خروجه إلى النور، بل أضحت تنادي بفصل (الإنسان عن الله).

هل كان هناك حقاً (نقاء استقاء)؟

هل تم (استقصاء) مصادر الماء التي ينبغي أن يكون منها الاستقاء؟

هل كان حقاً المصدر الذي يأتي منه بالماء هو (الأفضل) لاستقاء الماء؟

هل تم (خلط) الماء بشيء في الطريق رغبةً في جعله أكثر صحةً وصلاحيةً؟

هل تم إهمال (حفظ الماء من الشوائب) التي تعرض له في الطريق؟

لكِنَّ صاحبنا لِقَرَطُ ثِقته في الذين يجلبون (الماء)، لم يكن (يلتفت) لتلك الهواجس، ولم يحاول يوماً فَعَلَ ما ينبغي (لدفع) تلك الوسواس، كان يكتفي بتجاهلها، وعض الطرف عنها، كأن لم تكن، وربما كان ذلك لِقَرَطُ (كسَلِه)؛ فلم يكن لديه من (الحوافز)، ما يدفعه لتجاوز تلك (الحواجز)، وقطع تلك (المفاوز).

بدأ يلاحظ أن بعض الذين كانوا يشاركونه (الارتواء بالماء) من المصدر الذي في ذلك المكان (السهل القريب)، أعلنوا أن ذلك الماء (دُون) ما يصفونه عليه من عبارات الثناء، وأنه (ليس الأمثل) للارتواء.

لكنه كان يراقب (من بعيد)، ولا يفكر في أخذ أي خطوة جادة (للتأكد) أو (التأكيد)، زاعماً أنه (لا يأمن عواقب) التبديل والتجديد، وأنه يخشى أن يكون ذلك التأكيد أو التجديد سبباً في (التبديد).

زادت موجة (التسخط) على ذلك الماء، استثمرها بعض (الفاستدين)، فأغروا أولئك الساخطين، وأوهموهم أن لديهم الماء (الأصلح للإرواء)، فتابع الساخطون الفاستدين حتى أوردوهم موارد (الخسران المبين).

وهناك صنف من الساخطين (الصامتين) لم يتبعوا الفاستدين، لكنهم زهدوا في الارتواء بذلك الماء، وحاولوا التفكير في (بديل آخر) يتسم (بالقرب) أيضاً (وسهولة الوصول) إليه كالماء الذي زهدوا فيه.

لم يصمد ذلك الماء السهل القريب في مواجهة (الفتن والمحن)، ولا مواجهة (الزمن)، ففي حالات الظم الشديد أو غيرها من الأزمات لم يكن ذلك الماء (يُسَعَفُ) تماماً في الإرواء، وربما (هَزَمَه) غيره، وكانوا يلاحظون أن خصائص ذلك الماء تتغير أكثر، وتغدو أسوأ مع تقدم (الزمن).

بدأ صاحبنا يشعر بالقلق من جراء ذلك الذي يحدث من حوله؛ ولأول مرة يفكر (بجدية) في فَعَلَ ما ينبغي للتأكد من الهواجس، ودفع الوسواس، وهدى الله صاحبنا إلى (التزود في رحلة التأكد) بما ينبغي من (التبصر والعلم والفهم)، وما يجب من (التصبر والعمل والعزم).

احتمل صاحبنا ما أكرمه الله به من (الوعي)، وبدأ في (السعي)، وصل إلى مصدر الماء، وشرع في التأكد من (نقاء الاستقاء)، وقام (بالاستقصاء)، وتفقد رحلة الماء حتى وصوله إلى الوعاء، فكانت المفاجأة!!!!

لَمَّا قام (بالاستقصاء) حول مصادر الماء، اكتشف أن هناك مصدر آخر للماء، كان الأقرب والأسهل، والأقوى والأكمل، ولَمَّا فحص الماء الذي كان يستسقون منه، اكتشف أنه كان يتم خلط الماء ببعض (الشوائب) الأخرى، التي كانت تؤثر على خصائص الماء، لدرجة كادت تجعلهم يتوهمون أن خصائص الماء الذي يشربونه هي الخصائص الأصلية للماء، لقد تأكد أنه كان هناك إشكال كبير في (نقاء الاستقاء).

تلك قصة رمزية، لكن لها نصيب من الواقعية، أردتُ من خلالها تقريب أهمية سداد ورشاد (المصدرية)، من ناحية (الأمان والالتزان والصحة والصلاحية).

فالكثير منا يريد (البناء والارتواء)؛ لكنه لا يُكَلِّف نفسه عناء (الاستقصاء) للتأكد من المصدر الأحسن لتحقيق (الصفاء والنماء، والنقاء والارتقاء)، ولا يُبالي بالتأكد من (نقاء الاستقاء) لكيلا يقع فريسةً لمُنْتَجِ تَمَّ فيه (خلط) وحي رب السماء بشوائب (الآراء) أو (الأهواء).

الوحي هو أحسن المصادر، لكن الانتفاع به كمصدرٍ شَرَطُه (نقاء الاستقاء)، وشَرَطُه أيضاً (الاستقراء والاستقصاء)، واجتنب (الانتقاء).

وإذا تم الالتزام بتلك الشروط فيما يتعلق بالمصدرية، تكون النتائج في أعلى درجات القوة (العلمية واليقينية والموثوقية) والصحة والصلاحية؛ لأنها ستتجلى فيها أهم أسباب تميزها، وهي كونها (ربانية نقية)، بدون أدنى تدخلاتٍ لآراء أو أهواء (بشريةٍ وضعية).

فلا مجال، ولا ينبغي بحال، أن نمزج بين الوحي وغيره، لنصنع (خليطاً) نراه - في زعمنا - أنسب للإنسان أو الزمان أو المكان أو الميدان؛ لأن البعض يحاول أن يتخذ (مصدراً) يمزج فيه بين الوحي وغيره، ليصنع (خليطاً) يراه - في زعمه - أنسب للإنسان أو الزمان أو المكان أو الميدان، وكأنه يستجير من التحية (الكلية) على مستوى المصدرية، بتحيةٍ (جزئية) لعلها تلطف من بشاعة القضية.

لكنه - للأسف - مهما حاول التلطيف، فحاله هذه أشبه بحالة من وصفهم الله تعالى بقوله: (مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَاءٍ وَلَا إِلَى هُوَاءٍ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً) [النساء: ٤٣]، ناهيك عن التلبس الذي يلبسه على غيره (دونما شعور)، حين يصف منهاجه (الخليط) بأنه منهاج (إسلامي) أو (قرآني)، وإمعاناً في التلبس (دونما شعور أيضاً) يصف منهاجه (بالعصري أو الحديث أو المطور أو التجديدي أو المنفتح).

ولا يدرى أنه يقدم للمصادر التي سوى الوحي (خدمة مجانية) ما كان يحملون بها، حين يقوم بشرعنتها وتسهيل تمريرها من جمارك المسلمين ومحاكمهم المنهاجية، موهماً الناس بأن الوحي كان بحاجة لتطوير، أو تنوير.

لذا أكرر التأكيد على مسألة (نقاء الاستقاء)، فحين يحتاج الواحد منا للعذب من الماء، فإن الماء المخلوط بغيره (كالشاي أو السكر أو الملح ولو كان يسيراً) لا يتحقق به الارتواء، فحين يستسقي المسلم العذب من ماء الوحي الذي يتحقق به الارتواء، يجب على (الساقى) أن يلتزم بنقاء الاستقاء، وحين يخلط الوحي بغيره ولو كان يسيراً فإنه يخون الأمانة، ويخدع (المستسقي)، ويحرمه من الارتواء.

لقد أكد ربنا سبحانه وبحمده على مفهوم شمولية الاستغناء مع (نقاء الاستقاء)؛ فقال: (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) قَوْلِكَ لَسَأَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الحجر: ٩٠ - ٩٣]، فأولئك الذي أنكر الله عليهم، خلطوا الوحي بغيره، ومزجوا الحق بالباطل، ولبسوا على أنفسهم وغيرهم. وإذا من مولانا سبحانه وبحمده على العبد بالتوبة المنهاجية، وحاول تفعيل تلك (المركزية)، سيدرك بوضوح الكثير من أصول وتفصيل الإشكاليات والثغرات البنائية الواقعية.

فالإنسان رغم كل تلك الجهود البشرية الوضعية لم ينجح في البناء، لا على مستوى الاهتداء، ولا على مستوى الاستواء، فأشقى نفسه، وأشقى غيره؛ أما الوحي الشريف فقد قدم مشروعاً ومنتجاً حضارياً إنسانياً كاملاً شاملاً في (البناء) للمسلمين وغير المسلمين أثبت تفوقه وتفردته على مر التاريخ.

لكن الوحي قد تعرض (للتحية) على أيدي شياطين الجن والإنس، ونجحوا في العزف على أوتار نقاط الضعف في النفس، وتمكنت (تحية الوحي) من المسلمين أنفسهم، فبدل أن يهدوا (أعداء الوحي) - من الحيارى والضالين - بما لديهم من المنتجات الحضارية البنائية التزكوية (الربانية)، أصبحوا - للأسف - يولون وجوههم شطر (أعداء الوحي) يستنون بسنتهم (الوضعية)، ويهتدون بمناهجهم ومنتجاتهم في بناء الذات، والبيوتات، والمؤسسات، والمجتمعات.

ويعد أن كانت تحية الوحي (اضطرابية) بسبب الاحتلال العسكري أصبحت (اختيارية) بسبب الاحتلال الفكري، والاختلال المنهاجي، والانتهزام الحضاري؛ ولذلك تعمقت جراح الإنسانية، وتفاقت مشكلاتها الحضارية البنائية؛ لذا فإن مكافحة (تحية الوحي)، وإحياء وبعث مفهوم (مركزيته) على مستوى (المصدرية)، ليس فقط ضرورة (إسلامية)، بل ضرورة (إنسانية) حضارية، لاستنقاذ وهداية البشرية.

تلك البشرية التي هي أحوج ما تكون للإنجاز (الكامل الشامل) لِمَا نطلق عليه (المشروعات أو المنتجات الحضارية)؛ والتي تهدف لسد الثغرات وتلبية الاحتياجات البنائية الإنسانية، وحل الإشكالات الواقعية الإيمانية والعمرانية، انطلاقاً من وحي رب البرية.

المطلب الثاني: النماذج البنائية المنظورة^{٤٤}.

كثيراً ما نجد في الوحي (القضية من القضايا) معروضة في نسختين؛ الأولى: وصايا وتعليمات مسطورة (أقوال)، والثانية: نماذج واقعية منظورة (أحوال وأفعال وخِلال)؛ فنرى مثلاً وصايا وتعليمات مسطورة (كأقوال) تخص الصبر، ونرى كذلك نماذج واقعية منظورة (أحوال وأفعال وخِلال الصابرين) والتي تتجسد فيها تلك الوصايا والأقوال المسطورة وتعتبر بمثابة (ترجمة عملية تطبيقية) لها.

ومساحة تلك النسخة المنظورة (مساحة كبيرة)؛ تمثل (القصص) منها قرابة ربع أو ثلث القرآن، ومع إضافة أمور أخرى (كالأمثال)، وأحوال المخلوقات الأخرى، وغيرها، ربما نتجاوز نصف القرآن، وقد نصل إلى ثلثيه. ومن أروع ما في تلك النماذج المنظورة التي جاء بها الوحي أنها (تفردت) ببلوغها الغاية في (الصحة والصلاحية، والأمان والاعتزان)؛ لذا فلو نجحنا في أن نصرف لها ما تستحقه من (التحليل والتعليل)، سنكون قد ظفرنا بأروع ما يمكن الوصول إليه من (الحلول) التي تستحق أن نصرف لها ما تستحقه من (التنزيل والتفعيل). والنماذج المنظورة لا تعرض دوماً (الأحوال المحمودة المقبولة)؛ لأنها كثيراً ما تتناول الأمر من زاوية (التحذير والتنفير) من (الأحوال المذمومة المشؤومة المرذولة)، وفي الغالب تكون (النماذج المنظورة) في معظم الموضوعات عبارة عن نسخة (كاملة شاملة) تتناول الإشكال، والحال، والمآل، وما ينبغي من الأقوال والأفعال والأحوال والخِلال. لذا فنماذج الوحي البنائية المنظورة هي الأحق والأولى بأن تكون (المصدر) الذي (نرجع ونتحاكم) إليه، (وننتقل) منه في كل ما يخص (أصول ونفاصيل)، (وحقائق ودقائق)، (ومفاهيم ومهارات)، (ومعالم ولوازم) بناء الأطفال.

فينبغي أن تكون تلك النماذج بمثابة الأساس، والنبراس، والتاج على الراس؛ (فالأساس) في (الابتداء)، (والنبراس) في (الاستواء)، (والتاج الذي على الراس) في (الانتهاء)، وأقصد (بالأساس) أن نبدأ بها وننتقل منها، أما (النبراس) فأقصد به أن نستشير بها حتى يحصل الاستواء من الابتداء حتى الانتهاء، أما (التاج الذي على الراس) فأقصد به أن نتمكن من الوصول إلى أبعد نقطة ممكنة من الأحسنية (كاملاً وجمالاً) التي تجعلنا (نتزین ونتحلى) (بهدايات ومنهجيات تلك النماذج كالتاج على الراس).

ولم يقتصر الوحي على تقديم تلك (النماذج المنظورة)، بل أرشد إلى منهاج التعامل معها والانتفاع بها؛ فأوصى بالمنهاج (التفكري الاعتباري)؛ فقال تعالى: ﴿فَأَقْصُصْ

^{٤٤} نوصي بمطالعة كتابنا (قصص بنائية)؛ فقد أكرمنا الله بقرأة (تحليلية تحليلية تنزيلية) لنماذج بنائية بالمنهاج (التفكري الاعتباري).

الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: ١٧٦]، وقال: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} {يوسف: ١١١}.

وأرشد إلى أن ذلك المنهاج التفكيرى الاعتبارى (المنشود) ينبغى أن يكون من النوع (التعقلى) فهماً وإدراكاً وضبطاً وامساکاً؛ فأخبر تعالى أن أهل (الاعتبار) وأسعد الناس به هم (أولو الألباب)؛ وقال قبلها بآية واحدة: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ} {يوسف: ١٠٩}، كما أوصى ربنا بعقل وتعقل القصص وأحداث التاريخ؛ فقال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} {الحج: ٤٦}.

وقفات على عتبات أبرز سمات نماذج الوحي البنائى المنظورة:

[١] البناء المنهاجى واستقامة وثبات المخرجات: نلاحظ فى سلوك كل تلك النماذج دوماً أننا أمام أخلاق (راسخة حاضرة)، ولسنا أمام مواقف (عابرة سائرة)؛ حيث تتصرف تلك النماذج (بتلقائية وثبات) مهما تغيرت (الظروف والملابسات)، فذلك (الثبات والرسوخ والاستقرار) من السمات المميزة (للبناء)، أما ذلك (التكرار) بنفس (الطريقة والنظام والالتزام) فمن السمات المميزة (للمنهاج).

[٢] وحدة (المخرجات والعمليات) رغم التباينات: لقد تنوعت النماذج والقصص تنوعاً استوعب كل التباينات والاختلافات الحاصلة فى العمليات البنائية، والعجيب أنه رغم كل تلك (التباينات والاختلافات)؛ إلا أننا نجد تشابهاً عجبياً فى (أصول) المخرجات والعمليات ومعالما الكبرى، فهناك قواسم مشتركة، ومعالم متكررة فى كل النماذج تقريباً؛ لأنها جميعها تنطلق من (مشكاة) واحدة، وتتجه (لوجهة) واحدة، وتسير على (منهاج) واحد؛ فتتعلق من مشكاة (الوحي)، وتتجه إلى (الله وحده)، وتسير على (منهاج الربانية) فى (المقصد والنية) وفى (الطريقة والمنهجية).

○ فمن ناحية (البانى) الذى يباشر عملية البناء:

- نجد ما يتجلى فيه دور (الوالد أكثر) ولا نكاد نجد للوالدة ذكراً كما فى حالة يوسف (p).

- ونجد ما يتجلى فيه دور (الوالد والوالدة) معاً؛ فىكون (الوالد) فى (التخطيط والتأصيل والتأهيل)، وتكون (الوالدة) فى (التنفيذ والتفعيل والتشغيل)، ويكون لها الدور الأكبر فى الملازمة كما فى حالة إسماعيل (p).

- ونجد ما ينعدم فيه دور الوالدين (النافع)، ويظهر فيه دورهما (الضار)، فيتولى المهمة (والد) آخر من نسب (الإيمان والدين)، وهو (المعلم) أب الروح كما فى قصة (الغلام والراهب).

○ أما (أجواء البناء) والبيئة التى تجري فيها العمليات البنائية:

- فمنها الأجواء (السوية الصحية) إيمانياً ونفسياً طوال الوقت، والساكنة المستقرة (عمرانياً واقتصادياً واجتماعياً) طوال الوقت أيضاً، كما فى حالة إسماعيل (p)، رغم أنه كان فى الأجواء (غير مسلمين) فى مرحلة من المراحل (قبيلة جرهم قبل أن يسلموا).

- ومنها الأجواء التى كانت (سوية صحية) إيمانياً ونفسياً، وكانت (ساكنة مستقرة) نسبياً عمرانياً واقتصادياً واجتماعياً فى مرحلة ما، لكنها تبدلت بعد ذلك فأصبحت (غير سوية ولا صحية) إيمانياً ونفسياً واجتماعياً، رغم أنها كانت عمرانياً واقتصادياً (ساكنة مستقرة متميزة) كما حصل مع يوسف (p).

- ومنها الأجواء (غير السوية وغير الصحية) إيمانياً طوال الوقت؛ لكنها (ساكنة مستقرة) نفسياً واجتماعياً وعمرانياً واقتصادياً طوال الوقت؛ كما فى حالة الغلام لَمَّا بدأ الراهب معه العملية البنائية.

○ أما (المبني) الذى تجري عليه عمليات البناء؛ فمنهم (الذكور)، ومنهم (الإناث)، ومنهم (الوجهاء ذوو

الأنساب) ومنهم (العاديون)، ومنهم من قد يكون في رعاية نبيّ (كوالد له) ثم يصبح (نبياً) هو الآخر كما في حالة إسماعيل ويوسف عليهما السلام، ومنهم من يكون في رعاية (وليّ ربانيّ) ليس من أهله؛ فيصبح (وليّاً ربانياً) أفضل من (مُعَلِّمه) كما في حالة الغلام.

وذلك التنوع يسهم في تحرير الأفاضل والفضليات من تبرير التقصير (وأوهام التعللات)؛ والزعم أن لديهم (ظروف مختلفة واستثنائية)، ستحول بينهم وبين العمليات البنائية (السوية)؛ سواءً لأنفسهم أو لمن تحت أيديهم من الذرية؛ لأن تلك (النماذج الربانية) من حجج الله على البشرية.

[٣] وجود الرؤية كاملة في نموذج واحد: نؤكد دائماً أنه ليس من الضروري أن تظهر الرؤية البنائية (كاملة) في نموذج (واحد)؛ وإلا لم تكن هناك حاجة لبقية النماذج، وكان النموذج الواحد حينها سيكون كافياً، لا شك أن كل أنموذج تتجلى فيه (الأصول الكبرى)؛ لكنه (ينفرد) عن بقية النماذج بالتركيز على (أصول ومعالِم) معينة وإبرازها بوضوح؛ فإذا تم وضع النماذج معاً بجوار بعضها كانت (الصورة أوضح) ما تكون.

كما نؤكد أنه لا يشترط أن يتم دوماً ذكر (كل تفاصيل) العمليات البنائية؛ لأنه يتم الاقتصار في معظم الأوقات على الحديث عن الصورة المنشودة (للمخرجات)، والتي بدورها ستحدّد وتُسَدّد وتُرشد بقية التفاصيل (كالمدخلات والعمليات والقياسات).

الفصل الثاني: الإطار التطبيقي (التفصيلي)
بَيْنَ يَدَيَّ وَحْدَةَ الرِّسَالَةِ

هذه الوحدة بمثابة مدخلٍ تحضيريٍّ قويمٍ، لعالم التربية والتعليم، والتعامل مع القرآن الكريم، يحتاج إليه كل طفلٍ، ويسدُّ ثغرةً كبيرةً وخطيرةً في واقعنا اليوم.

وتهدف إلى (البناء المنهجي) للطفل (صناعة الطفل اللبيب المستقيم مناهجياً) فيما يخص التواصل والتعامل الأمثل مع مصادر المعرفة (المسطورة والمنظورة)، والمحتويات التعليمية المختلفة، داخل مؤسساتهم التعليمية وخارجها، وذلك من خلال تسديد المفاهيم، وترسيم حدود المهارات فيما يخص الأنشطة المنهجية المختلفة، كالشغل والتدبير والتفكير والإعتبار والتذكر والتبصر والتركي وغيرها، والتي يلتقي مع ما يسمى حديثاً (بعادات العقل) في قطاعات منها.

وتزود الوحدة الطفل بأدوات ومهارات منهجية (فرقانية تمييزية) تُعينه على التمييز والشغل العلمي التبريري (فهماً وإدراكاً)، وما يعقبه من التمييز والشغل العملي التصبري (ضبطاً وإمساكاً)، المتعلق بكل ما يتعرض له من مصادر المعرفة المسطورة والمنظورة، داخل المؤسسات التعليمية وخارجها، وتضع الوحدة خولاً جذريةً لكثير من المشكلات التعليمية والبنائية، لا سيما تلك المتعلقة بالمفاهيم والمهارات المنهجية والتعليمية.

وتعتني الوحدة في محتواها البنائي والمنهجي بموضوع (التواصل) سواء كان اجتماعياً (مع الناس) أو تعليمياً (مع مصادر المعرفة المسطورة والمنظورة)، وتتركز على التواصل التعليمي، وتعتني عناية خاصة بالتواصل الذي في صورة (رسائل)، من حيث المرسل (المنتج)، والمستقبل (المستهلك)، والموصول (المبعوث)، والمقصد (الهدف أو السبب)، والمحتوى (المضمون)؛ لذا نخدم هذه الوحدة الرسالة التعليمية (الإيمانية "القرآنية") وغيرها من الرسائل والمحتويات التعليمية (العمرانية) كالعلوم المختلفة التي يدرسها الأطفال في مؤسساتهم التعليمية.

☞ المنهج الذي تنتهي له وحدة الرسالة:

وحدة (الرسالة) هي أول وحدات الإطار (المفاهيمي) لمنهج المتدبر الصغير (المنهج البنائي التركوي التعليمي)، ووحدة الرسالة بالنسبة لمنهج المتدبر الصغير كالنواة للخلية.

ورسالة المنهج الكبرى هي إحياء المنهج النبوي في بناء وتركية وتعليم الأطفال، لذا يهدف المنهج إجمالاً إلى البناء الشامل المتكامل للطفل الرباني على مستوى:

○ النية والمقاصدية (التخلق بالإخلاص والإفلاس بلا وسواس أو إياس).

○ والمنهجية والآلية (التخلق باتباع منهاج خير الناس "منهاج الأنبياء")

وأقصر وأحسن الطرق لبناء ذلك الرباني هو التعليم التركوي البنائي لكتاب الله بمنهاج رسول الله ﷺ (الإيمان قبل القرآن - الإيمان قبل العُمران - العلم النافع والعمل الرافع).

☞ فئة الأطفال التي تستهدفها وحدة الرسالة:

تستهدف الوحدة الأطفال من السابعة إلى البلوغ، وتجدد الإشارة إلى أن الوحدة يستفيد منها أيضاً أطفال الرابعة إلى السابعة، بل الفتيان والفتيات بعد مرحلة البلوغ، والطفل الذي نقصده هنا هو (المميز المنجهز للتعلم)، والذي يكون في الغالب قد أتم ست سنوات على أقل التقديرات (شرع في السابعة).

☞ الرؤية العالمية الشمولية لوحدة الرسالة:

وحدة الرسالة تتميز بأنها ذات رؤية (عالمية)، ويتجلى ذلك في أنها لا تحمل فقط مقاصد بنائية منهجية (إسلامية)، بل تحمل أيضاً مقاصد بنائية منهجية (إنسانية)، ولا تُفيد الطفل فقط في المحارِب التعليمية (الإيمانية)، وإنما تُفيدة أيضاً في المحارِب التعليمية (العمرانية)؛ لذا فإن محتواها البنائي المنهجي صالح (لكل)

الأطفال) بصرف النظر عن دينهم وجنسهم ومجتمعهم وثقافتهم، وبصرف النظر حتى عن توجهاتهم الدينية، وبالتالي فإنها صالحة جداً للبيئة التعليمية (المدرسية) بتنوع أطرافها.

ولعل بعض الفضلاء يقول: لكن الوحدة تحتوي على آيات قرآنية؟

أقول: نحن نتعامل مع القرآن هنا كمصدر من مصادر المعرفة، وننظر إليه من زاوية البناء المنهجي العام للإنسان من حيث كونه إنساناً بصرف النظر عن خلفياته الفكرية، فللقرآن عطاءات منهجية حضارية إنسانية، البشرية أحوج ما تكون إليها، ولو عرفها غير المسلمين ودرسوها بتجرد وموضوعية لأقروا حتماً بما قررناه.

وبالنسبة للمسلمين بكافة أطرافهم - والحمد لله - فإن القرآن لديهم هو أعظم مصادر المعرفة على الإطلاق، ولا يمانعون في أن يكون هو مصدر أي منهاج بنائي تعليمي يحتاجه الإنسان في التربية أو التعمير أو غيرها، المهم ألا يحمل ذلك المنهاج فكراً منحرفاً، أو متطرفاً، أو منحرفاً إلى فئة ما. بل إن معظم المسلمين - كأفراد وكمؤسسات تعليمية - بحاجة للمناهج التعليمية المناسبة التي تساعد أطفالهم على الانفتاح الكامل بالقرآن الكريم، وتشجعهم على الإقبال عليه، وتحدث الوصال اللائق بينهم وبينه، وأزبأ بالمسلمين أن يكونوا قد وصلوا لدرجة من الهوان، يتحرجون فيها من ذكر القرآن، ويتحاشون استعمال نصوصه في مناهج بناء الإنسان.

أما غير المسلمين؛ فالأمر بالضبط كما يحصل عند وضع منهاج يخص تعليم اللغة العربية - حتى ولو كان لغير المسلمين - لا بد من حضور نصوص القرآن باعتماده أوثق وأفضل مصادر العربية (مُنْتخَب كَلَام الْعَرَب).

ولو كان كاتب هذه الوحدة التعليمية (غير مسلم) لاستعمل - ولا شك - نصوصاً من الكتاب الذي يحقني به كمصدر من مصادر المعرفة، ولجعل ذلك الكتاب هو النموذج التطبيقي الذي يطبق عليه المنهاج الذي رسمه ويبرره من خلاله، لاسيما لو كان ذلك الكتاب هو المصدر الرئيسي للمنهاج الذي رسمه في هذه الوحدة التعليمية.

كل الكتب التعليمية في العالم - سواء كانت للأطفال أو غيرهم - تظهر فيها الخلفيات الثقافية والتاريخية للكاتب، بل والبلد التي ينتمي لها، ولا يثير أحد مثل هذا الإشكال، لكن إذا كان الكاتب (مسليماً) أو تضمن الكتاب نصوصاً إسلامية فإن الدنيا تقوم ولا تقعد، وإذا حدثت كاتباً ما أو مؤسسة ما عن حضور تاريخهم وتراثهم ومبادئهم وثقافتهم - النصرانية أو اليهودية أو البوذية أو العلمانية - في كتبهم التعليمية التي من المفترض أنها تحمل صفة (العالمية)، فإنهم يقولون: "نحن نتحدث عن مبادئ إنسانية عامة، انشغل بمعنى النص وتأديته لدوره التعليمي في سياق، ولا تشغل بمصدره، أنا لا أطلبك أن تؤمن به".

بل إن بعض المسلمين يقول ذلك الكلام حين تحدثه عن أشياء مخالفة لمبادئ ديننا، ولتاريخ وثراث وثقافة أوطاننا، في داخل بعض الكتب والمناهج التعليمية (المستوردة) التي يتم تقديمها في المؤسسات التعليمية في بلادنا. لذا أقول: لا ينبغي أن نكيل بمكialsين، ولابد أن نتحلى بالعدل والإنصاف والموضوعية، فنهيب بالجميع أن يتعاملوا مع برامجنا البنائية المنهجية الإنسانية انطلاقاً من الكلام السابق، أعطونا فرصتنا كاملة، واتركوا ما يخصنا نحن (إسلامياً)، وانشغلوا بما يخصنا ويخصكم (إنسانياً) وبنائياً ومنهجياً.

نحن (نصدر) لكم منوّجاتنا الحضارية، فحاكموا إنتاجنا بإنصاف وموضوعية، وتفكروا إلى أي مدى تحتاجه البشرية، انطلاقاً من المُنَقَّق عليه من القواعد العلمية، بصرف النظر عن توجهاتنا الشخصية، فنحن نعمل في هذا المجال الذي تخصصنا فيه بمُنْتَهَى الإحترافية.

وَأَنَا لَتُؤْمِنُ أَنَّ التَّعْلِيمَ الْإِيمَانِيَّ الْقُرْآنِيَّ السَّلِيمَ بِالْمُنْهَاجِ النَّبَوِيِّ (الْمَعْنَى وَالْمَبْنَى مَعًا، وَالْعِلْمُ وَالْعَمَلُ مَعًا)، سَيَكُونُ حَجْرَ الرَّأْيَةِ فِي تَسْدِيدِ وَتَجْوِيدِ وَتَرْشِيدِ التَّعْلِيمِ الْعُمَرَانِيِّ فِي أَيِّ مَجَالٍ، وَعَلَى أَيِّ مُسْتَوَى، فَتَعْلِيمُ الْقُرْآنِ يَصْنَعُ إِنْسَانَ الْإِيمَانَ وَالْعُمَرَانَ السَّابِقِ الصَّادِقِ فِي مَحَارِبِ الْأَنْسَاكِ وَالْأَخْلَاقِ (صَلَاحًا)، وَمَحَارِبِ التَّنْوِيرِ وَالتَّعْمِيرِ (إِصْلَاحًا). فَاكْمُلْ يَا كِرَامُ أَنْ تَتَفَهَّمُوا أَنَّ الْمَسْأَلَةَ أَبْعَدُ وَأَعْقَدُ بِكَثِيرٍ مِنْ هَذَا الْمِيدَانِ، وَأَنَّ امْتِدَادَاتِهَا وَانْعِكَاسَاتِهَا الْأَمْرُ تُؤَثِّرُ بِشِدَّةٍ عَلَى مِنْهَاجِ بِنَاءِ وَإِصْلَاحِ (الْإِنْسَانِ)، وَعَلَى أَمَانِ وَاتِّزَانِ وَتَنْوِيرِ وَتَعْمِيرِ (الْأَوْطَانِ).

المبحث الأول: المحور (التأصيلي)° لوحدة (الرسالة)

المطلب الأول: حاجة الطفل للعقل والتعقل).

جاء الحديث عن (العقل، والتعقل، وأولي الألباب) وما يتصل بهم (بالمندقوق) أكثر من (٧٥) مرة، وكلُّها بين (حَضٍّ ومُطَالِبَةٍ) بضرورة (الإعمال)، أو (إنكارٍ ومُعَانَتَةٍ) على (الإهمال)؛ وهذا يُبَيِّنُ أهمية هذه (القضية المنهجية) عند الله؛ ولقد قَلَبْتُ النظر في كثيرٍ من المُشكلات في واقعنا، فألْفَيْتُ الكثير منها سببه خللٌ في مسألة (العقل والتعقل)، ولا تقتصر تلك المشكلات على محارِبِ (الدين والإيمان والصلاة)، بل توجد نفسها تقريباً في محارِبِ (الدنيا والعمران والحياة).

نحن أمام أمرٍ في غاية الخطورة والأهمية، ورغم ذلك لا نشغل بالنا بأن (ندرسه) أو نضع له (برامج) أو (مناهج) بنائية، ولا شك أن ذلك سيترك (ثغرات)، وسيترتب عليه (مشكلات)، لكننا لا ندرك أنه ربما كان السبب (غياب) أو (اضطراب) العناية بالعقل والتعقل، وبتسول الشرق والغرب بحثاً عن (حلول) لنا ولأطفالنا، رغم أن (الحلول) بين أيدينا - في الوحي - تُعاني من إهمالنا.

لا نزيد (بناء العاقل اللبيب) لِدَاتِهِ فقط (صلاً)، بل نزيده لِمَا هو أبعد منه (إصلاحاً)؛ لأننا وإن كُنَّا - بعد الله - نُؤمِّلُ ونُعَوِّلُ كثيراً على (النساء والرجال)؛ إلا أن أَمَلْنَا الأكبر وتعويلنا الأكثر في مستقبلنا كأمة - بعد الله - على الأطفال، فأطفالنا اليوم أمام (مُشكلةٍ مُركَّبةٍ) حيث يحتاجون لبناء (العقل والتعقل) وصناعتهم (كعقلاء ألباب)، ويحتاجون (لعقلاء وألباب) يبشرون عملية بنائهم تلك، فإن نجوا من براثن (غياب أو

° نوصي بمراجعة كتابينا (بناء العقلاء)، (الدليل التشغيلي الجماهيري لوحدة الرسالة) ففيهما الكثير من التفاصيل

التأصيلية والتشغيلية.

اضطراب) المؤسسات والبرامج والمجهودات، وقعوا في براثن (غياب أو اضطراب) من يباشرون تلك العمليات، فنسأله سبحانه ألا يخيب آمالنا، وأن يُسَدِّدَ وبيارك جهودنا وأعمالنا.
الطفولة الشكلية والطفولة العقلية:

- انطلاقاً من حياة القدر الكافي من (التعقل) يمكننا تقسيم الطفولة إلى: طفولة (شكلية)، وطفولة (عقلية)؛ فقد يكون الإنسان (شكلياً) كالأطفال لكنه يكون كأقل الرجال، وقد يكون شكلياً كالرجال لكنه يكون (عقلياً) كالأطفال.

- وانطلاقاً من حياة القدر الكافي من القوة النفسية (تحملاً وصلابةً وصموداً) يمكننا تقسيم الطفولة إلى: طفولة (جسمية أو بدنية)، وطفولة (نفسية أو وجدانية)؛ فقد يكون الإنسان جسيماً أو بدنياً كالأطفال لكنه يكون نفسياً أو وجدانياً كالرجال، وقد يكون جسيماً أو بدنياً كالرجال لكنه يكون نفسياً أو وجدانياً كالأطفال.

- وانطلاقاً من حياة القدر الكافي من (الأخلاق النافعة المقبولة إيماناً وعمرانياً) يمكننا تقسيم الطفولة إلى: طفولة (خُلقية)، وطفولة (خُلقية)؛ فقد يكون الإنسان (خُلقياً) كالأطفال لكنه يكون (خُلقياً) كالرجال، وقد يكون (خُلقياً) كالرجال؛ لكنه يكون (خُلقياً) كالأطفال.

فأريد أن أوجه الأنظار إلى أنه من الناحية (البنائية والتكوينية) ينبغي اعتبار (الطفولة والرجولة) أوصافاً (عقلية ونفسية وخُلقية) أكثر مما هي (شكلية وجسمية وخُلقية)؛ والمعيار (العقلي) هو (أساس) التمايز، (وقائد) قاطرته. وينبغي النظر للحياة على أنها باختصار رحلة (انتقال)، من حالٍ إلى حال، على سبيل التزكي والنضج (والاكتمال)، صيانةً ومفارقةً (للمرنول) من (أخلاق) الأطفال، وصناعةً واكتساباً (للمقبول) من أخلاق (الرجال)^{٤٦}.

وفي رأبي أنه لو طُلبَ منا أن نتخير (مهارة أو عبودية منهجية) واحدة (نبنيها) في الطفل فستكون (التعقل) بنوعيه؛ العلمي التصري (تعقل الفهم والإدراك)، والعملية التصبري (تعقل الضبط والإمساك)، فمعظم (مشكلات وتحديات) الطفولة والأطفال تعود إلى (نقص) أو (خلل) في العقل والتعقل (غياباً أو اضطراباً)، كما أن أهم معالم نضج الطفل أو تطوره أو نموه على الإطلاق هو تطور ونمو (العقل والتعقل).

○ الأطفال (قبل السابعة) لديهم نقص في تعقل الفهم والإدراك وال ضبط والإمساك.
○ ومن (السابعة إلى العاشرة) يتطور تعقل الفهم والإدراك بقدر أكبر من تعقل الضبط والإمساك؛ فيكون تعقل الفهم والإدراك (٧٠%) تقريباً، ويزيد تدريجياً، أما الضبط والإمساك فيكون من (٥٠%) تقريباً، ويزيد تدريجياً.

○ وعند (العاشرة) قد يصل تعقل الفهم والإدراك إلى (٨٠%) تقريباً، ويزيد تدريجياً، أما تعقل الضبط والإمساك فيكون (٧٠%) تقريباً، ويزيد تدريجياً.

○ فإذا (اكتمل بلوغ الطفل) قد يصل تعقل الفهم والإدراك إلى (٩٠%) تقريباً، ويزيد تدريجياً، أما تعقل الضبط والإمساك فيكون (٨٥%) تقريباً، ويزيد تدريجياً.

○ وعند وصول الإنسان إلى مرحلة بلوغ الأشد (الأربعين)، يصل عقله وتعقله إلى (١٠٠%) تقريباً؛ حيث تتعاقب الخبرات العملية الحياتية مع المعلومات النظرية.

^{٤٦} نقصد هنا الذكور والإناث؛ لأن الوحي اعتبر الرجولة وصفاً نفسياً وخُلقياً وإيمانياً لا بدنياً أو خُلقياً أو جنسياً.

وشرط حصول التمرحل في (تطور العقل والتعلل) أن يتم (إمداد وإرواء) الطفل بما تحتاجه (صناعة وتنمية وترقية) عقله وتعلقه من (مُعَدَّيات)، وأن يتم (إبعاد واتقاء) ما ينافي (صيانة وتصفية وتنقية) عقله وتعلقه من (مُؤَدَّيات). فإن حصل (نقص أو خلل) في عملية (الصناعة والتنمية والترقية) أو (الصيانة والتصفية والتنقية)؛ فإن الإنسان تبقى لديه العديد من صفات أو أخلاق الطفولة (المردولة) التي كانت بمثابة (آفات وتحديات) وابتلاءات) ينبغي عليه (مفارقتها والتطهر منها)، ولا تنمو لديه العديد من صفات أو أخلاق الطفولة (المقبولة) التي كانت بمثابة (مميزات) ينبغي عليه (استثمارها وتطويرها).

والبناء المنهجي يتغيا (صناعة وصيانة) الطفل وإكسابه ما يعينه على أحسن (تعامل وتفاعل وتواصل) مع المُعَدَّيات (الرسائل ومصادر المعرفة النافعة) والمُؤَدَّيات (الرسائل ومصادر المعرفة الضارة)؛ لذا تشتد الحاجة إلى أن نبني في الطفل فعل (العقل والتعلل) بنوعيه، ليكون معراجاً لبناء الفرد (العاقل اللبيب الكامل)؛ وسيستلزم بناء فعل (العقل والتعلل) والفرد (العاقل اللبيب الكامل) الكثير من المهارات والعبوديات المنهجية الأخرى (تجهيزاً وتعزيزاً)؛ لأنه بالنسبة لغيره كالنواة للخلية وكالقلب للجسد.

﴿ العقل (الوهبي) والعقل (الكسبي):

إن (القدرة) على (العقل والتعلل) هبةٌ ومنةٌ فطرية من الله للإنسان؛ ليتهاً بها للتكاليف والقيام بما خلقه الله لأجله؛ وتلك القدرة تصدر من (كيان معنوي) على مستوى (إنسان الإيمان) اللامنطور الذي يسكن (إنسان الأبدان) المنظور، والإنسان يُولَدُ (سليماً مستقيماً)، ثم (ينضج ويكتمل وينتطور) رويداً رويداً في (مجالات) متعددة وعلى (مستويات) متعددة حتى يحصل له الحد الأدنى الوهبي (الفطري) من وظيفة (العقل والتعلل)، وتكون تلك (القدرة أو الوظيفة) قابلة (للنضج والاكتمال والتطور) والذي تؤثر عليه عوامل عديدة معظمها (بيئية)، وتلك (القدرة) على (العقل والتعلل) تعطيه وصف (العاقل)، وتجعله حائزاً (لكيان أو آلة) اسمها (العقل الفطري أو الوهبي)^{٤٧}.

ثم تأتي (المعلومات والتجارب والخبرات) فتعمل على (تنمية وتكميل وتطوير) القدرة الفطرية الوهبية على (العقل والتعلل)، حتى تصل بالإنسان لمستوى ما من وصف (العاقل) يزيد على المستوى الفطري الوهبي، وتجعله حائزاً (لكيان أو آلة) اسمها (العقل الكسبي أو التجاري)^{٤٨}.

وحسب (سلامة واستقامة) تلك (المعلومات والتجارب والخبرات) المكتسبة تكون (سلامة واستقامة) ذلك (العقل الجديد)، كما تتأثر (سلامة واستقامة) ذلك (العقل الجديد) بسلامة واستقامة (منهاج وآليات) الانتفاع بتلك (المعلومات والتجارب والخبرات).

﴿ لذا فإن مجهودات الإنسان في بناء فعل (العقل والتعلل)، وبناء الفرد (العاقل)؛ وتكوين (العقل) [السليم المستقيم]، ينبغي أن تكون في محورين:

^{٤٧} قال الراغب في المفردات (ص: ٥٧٧): "العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيدة الإنسان بتلك القوة عقل". ... وهذا العقل هو المعنى بقوله: {وَمَا يَعْقُلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ} [العنكبوت: ٤٣]."

^{٤٨} قال ابن الجوزي في صيد الخاطر (ص: ٤٣٢): "إن العقل ينمو بالتعليم والتحصيل والدربة، والمران مع دوام العمل".

- الأول: (صيانة) العقل (الفطري الوهبي) الموجود، بالإبعاد والاتقاء (للمؤذيات) من (المعلومات والتجارب والخبرات) الكائنة في مصادر المعرفة (الضارة).
- الثاني: (صناعة) العقل (التجاري الكسبي) المنشود، بالإمداد والإرواء (بالمُعذِّيات) من (المعلومات والتجارب والخبرات) الكائنة في مصادر المعرفة (النافعة).
- ✍ وهناك من لديه قدرة رائعة على (العقل والتعقل) المتعلق بالميادين والمستويات (العمرائية والدينيوية)، ولديه (عقل) سليم مستقيم فيما يتعلق بهذا الجانب؛ لدرجة أنه يستحق وصف (أعقل العقلاء) في هذا الباب، لكنه للأسف الشديد يكون على العكس من ذلك في الميادين والمستويات (الإيمانية والدينية والأخروية)، ولا يستعمل فيما يخصها شيئاً من (قدراته أو مؤهلاته)، بل يعمل على (تعطيلها)، وتعويق تفعيلها.
- وفي حديث النبي ρ عما سيحصل من انحراف؛ يقول: "وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلُهُ! وَمَا أَظْرَفُهُ! وَمَا أَجْلَدُهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدٍ مِنْ إِيْمَانٍ"^٩، لذا من الضروري أن يتم بناء فعل (العقل والتعقل) والفرد (العاقل) في الميادين والمجالات (الإيمانية والدينية والأخروية) أولاً، ومنها يتم الانطلاق للميادين والمجالات (العمرائية والدينيوية).

المطلب الثاني: حاجة الطفل لأن يكون (سببياً).

يمكننا أن نقول الآن بكل وضوح أن (العقل أو التعقل) هو (المهارة أو الأداة) الأهم في البناء المنهجي والاستقامة المنهجية؛ وأنه هو المهارة التي ينبغي أن تكون لها (الأولوية البنائية)؛ لأنها يبدو أنها هي المهارة أو الأداة (المركزية) التي تقع بموقع (القلب) من البقية.

فبناء (العقل والتعقل والعقلاء) هو (الوصف العام) للبناء الذي نصبو إليه؛ إلا أننا بعد (التمكين) نطمح في (التحسين والتحصين)؛ لذا نرجو أن ننطلق من (بناء العقلاء) القائم الموجود إلى (بناء اللبيب) القادم المنشود.

ولا يمكن (بناء الألباب الأصفياء) إلا على ساق (بناء العقلاء)، كما لا يمكن (بناء العاقل) كفاعل أو فرد، إلا على ساق بناء فعل (العقل والتعقل)، فاللبيب هو الصورة الأحسن من (العاقل) كمالاً وشمولاً وجمالاً؛ استقراراً واستمراراً؛ إتماماً ودواماً؛ فهي الصورة الأخلص والأبقى والألزم لصاحبها.

فالله عزوجل فيما يتعلق (بالفعل) طالبنا (بالعقل والتعقل)، أما فيما يتعلق (بالفاعل العاقل) طالبنا بأن نكون من (أولي الألباب) الأصفياء؛ مؤكداً أن هذه هي الصورة المطلوبة المنشودة من (العقلاء).

ولقد تأكَّد لنا من خلال استعراض (صفات اللبيب) في الوحي أن (اللَّبُّ) يقوم بكل وظائف (العقل)، ويزيد على ذلك أن تلك الوظائف يتم القيام بها على أحسن (أكمل وأجمل وأشمل) صورة.

ولقد تجلَّى في صفات اللبيب كل (لوازم ومقتضيات) العقل والتعقل (الخارجة عنه) سواء كانت (سابقة) أو (لاحقة)، وسواء كانت (ممهَّدة) أو (متممة)، وسواء كانت (للتجهيز) أو (للتعزيز).

كل ذلك طبعاً بجانب (ميادين ومجالات ومستويات) العقل أو التعقل التي تُشكِّله بالأساس؛ لذا سنجد اللبيب في النصوص: يتفكر، ويتدبر، ويعتبر، ويتذكر، ونجده: يصلي، ويتقي، ويصبر، ويصفح، ويتصدق؛ ولا نجد في النصوص: يعقل أو يتعقل؛ لأن العقل أو التعقل هو (لُبُّ) وصف اللبيب؛ فهو (عاقل) قد (عَقَلَ)، وكل ما

^٩ متفق عليه: البخاري (٦٤٩٧)، مسلم (١٤٣).

يتعلق بالعقل عنده قد (اكتمل)، وبقليل من التأمل في حقيقة أولي الأبواب، وصفاتهم، يتجلى لنا بوضوح أنهم قد جمعوا كل (أصول ومعالم، ومُخرجات ولوازم) الاستقامة المنهاجية المحمودة، والبناء المنهاجي المنشود. لذا أثرنا اختيار وصف (الليبي) لفاعل (العقل أو التعقل) المنشود الذي نتمنى ونَتغيا (بناءً منهاجياً)، فالليبي هو أكثر وصف يعبر عن الصورة (المنشودة) من (البناء) المنهاجي (والاستقامة) المنهاجية التي نرجوها لأطفالنا.

- فقد تم بناؤه (تزكويًا) على مستوى محور (الصناعة والتنمية والترقية والتطوير)؛ فأضحى لديه (المفاهيم والمهارات والأدوات والخبرات) التي تعينه على أحسن (تعامل وتفاعل وتواصل) مع مصادر المعرفة النافعة (المغذيات)، سواءً كانت (إيمانية أو عمرانية)، وسواءً كانت في صورة رسائل مسطورة (كتابات وكلام)، أو رسائل منظورة (أشكال وأجسام)، أو رسائل مقدورة (تدابير وأحكام).

- كما تم بناؤه (تزكويًا) على مستوى محور (الصيانة والتصفية والتنقية والتطهير)؛ فأضحى لديه (المفاهيم والمهارات والأدوات والخبرات) التي تعينه على أحسن (تعامل وتفاعل وتواصل) مع مصادر المعرفة الضارة (المؤذيات)، سواءً كانت في صورة رسائل مسطورة (كتابات وكلام)، أو رسائل منظورة (مواقف وأجسام).

- والليبي قد تم لديه (صيانة) العقل المنهاجي (الفطري الوهبي) علماً وعملاً، (وصناعة) وتطوير العقل المنهاجي (الكسبي) علماً وعملاً، من خلال إقامة (كتاب الله) على مراد الله (علماً وعملاً)، وإقامة (الصلاة) التي أرادها الله (إتماماً ودواماً)، ولوازمها من الاستقامة المنهاجية العلمية (التبصيرية الفكرية)، والعملية (التبصيرية السلوكية).

وتستلزم إقامة كتاب الله وإقامة الصلاة لوازمًا (تجهيزية وتعزيرية)؛ تكمل منظومة الأدوار المنهاجية لهذين المحورين المتعاقبين في تحقيق الاستقامة المنهاجية العلمية (التبصيرية الفكرية)، والعملية (التبصيرية السلوكية).

وسيكون جناح (إقامة كتاب الله وإقامة الصلاة) أول السعداء (ببزوغ فجر) ذلك (البناء المنهاجي) وتلك (الاستقامة المنهاجية) العلمية العملية؛ التي تعود عليهما وعلى بقية محاور البناء الإيماني الرباني (بالتمكنين)، ومع (إشراق شمسها) يكون (التحسين) إن شاء الله، ومع (ضحاها) يكون (التحصين) بعون الله، وإذا بزغ فجر (البناء الإيماني) وأشرقت شمسها، فهي بشارة ببزوغ فجر (البناء العمراني الرباني) وإشراق شمسها، وبزوغ فجر (السبق والصدق) في محاربه الأنسك والأخلاق (صالحاً)، والتتوير والتعمير (إصلاحاً)، على مستوى (الذات والبيوتات والمؤسسات والمجتمعات).

📖 علاقة (فصول) الوحدة (وأبطالها وقصصها) بما سبق تأصيله:

✍ تم اختيار اسم (ليبي) لبطل الوحدة (الأول)؛ وكان الفصل (الأول) منها للحديث عنه من خلال قصة (تعليمية تبصيرية تزكوية) بعنوان (ليبي والتعامل النجيب)، تُبرز معالم استقامته المنهاجية (في التعامل والتفاعل والتواصل) مع رسالة (مسطورة) أرسلها له (والده)، من خلال (مُعَلِّمه).

- وتحكي لنا القصة بالتفصيل (رحلة ليبي) في (التعامل والتفاعل والتواصل) مع ذلك المصدر من مصادر المعرفة النافعة (المغذيات)، فتجسد لنا مواطن (الإشكال)، وكذلك ما كان من (الحال والمآل)، وما ينبغي من (الأقوال والأعمال والأحوال والخلال)، وتُرَكِّز القصة أكثر على تزويدنا (بمفاهيم وخبرات)، وتبصيرنا (بمهارات وأدوات)، تعيننا على أن نكون من (أولي الأبواب).

- وتُبرز لنا القصة ما لدى أولي الأبواب من (صفات، ومؤهلات، وعبوديات، ومهارات) منهاجية، وما لديهم من استقامة منهاجية علمية (تبصيرية فكرية)، وعملية (تبصيرية سلوكية) في (التعامل والتفاعل والتواصل) مع مصادر المعرفة النافعة (المغذيات)، سواءً كانت (إيمانية) أو (عمرانية)، وسواءً كانت في صورة رسائل

مسطورة (كتابات وكلام)، أو رسائل منظورة (أشكال وأجسام)، أو رسائل مقدورة (تدابير وأحكام)، مع تركيز أكبر على (المسطورة)، وخصوصاً التي فيها (وصايا وتوجيهات) تخص (الطموحات والأمنيات).

- كما تُبرز القصة بعض (أخلاق وأنساك) أولي الألباب، ومساحة اتصالهم بالله، فأولو الألباب يحسنون التعامل مع (الرسائل) التي تأتيهم من خلال (الوصايا المباشرة)، ومن خلال (القصص) وأخبار التاريخ، ومن خلال المعلومات التي يعرفونها عن (المخلوقات والكائنات) من حولهم في الكون، ومن خلال (المواقف والأحداث) التي يعايشونها، ومن خلال سلوكيات وأفعال (الأشخاص) الذين يتعاملون معهم.

✍ أما (الفصل الثاني) فيقوم بتحليل الرسائل التي تصلنا (وخصوصاً المسطورة) تركيبياً إلى (أركانها) وأطرافها الرئيسية، من خلال قصة قصيرة جداً لبيان مفهوم (أركان الرسالة)، ثم يتم بيان وتوضيح كل ركن من أركان الرسائل بإيجاز، استناداً لأحداث (الفصل الأول)؛ تثبيتاً وتعزيزاً لما كان فيه، وتهيئةً وتجهيزاً (للفصل الثالث).

✍ ويعتني (الفصل الثالث) بصورة أكبر (بالصيانة والحصانة) من الرسائل ومصادر المعرفة الضارة (المؤذيات)، بطريقةٍ مُرتبةٍ مُستندةٍ على ما تم تقريره في الفصلين السابقين، وخصوصاً ما يتعلق (بأركان الرسالة).

- ولا يعتمد الفصل مبدأ (الصيانة أو الحصانة) بالهروب، أو مُطلق (الإعراض والابتعاد)، بل يعتمد ما يناسب كل نوع من (المؤذيات) من التصرفات؛ فأحياناً يعتمد مبدأ (التبصير والتحذير)، وأحياناً مبدأ (التطهير بالتطوير)، وأحياناً مبدأ (مزاحمة الشر، وإزاحته بالخير الكثير).

- ويدعو الفصل ضمناً لتفعيل (الجمارك والمحاكم المنهاجية)؛ لكي تكون هناك عمليات (تفقدية وتقييمية) لِمَا وصله من رسائل (مسطورة) أو (منظورة)، وخصوصاً في المنتجات (العمرائية التعليمية)، (والترفيهية الترويحوية)؛ سواء قام بذلك (بنفسه) أو (بمساعدة) من يثق (بعلمه وحكمته وأمانته) ممن حوله.

- ويتجاوز الفصل الدعوة إلى العمل على (صيانة وحصانة) النفس (صلاحاً) إلى التأكيد على ضرورة السعي (لصيانة وحصانة) الغير (إصلاحاً)؛ فلا يكون الطفل (مصدراً) لرسائل (المؤذيات) المسطورة أو المنظورة (مُرسلاً أو رسولاً)، بل يعمل على (تبصير) غيره، (وتحذيره).

✍ أما (الفصل الرابع) فيركز على الصورة (المذمومة الموجودة) في (التعامل والتفاعل والتواصل) مع رسائل ومصادر المعرفة النافعة (المغذيات)، وخصوصاً (المسطورة) التي فيها تحليل وحلول (للمشكلات والتحديات)؛ لذا تم اختيار اسم (غريب) لبطل الوحدة (الثاني)؛ وكان (الفصل الرابع) للحديث عنه من خلال قصة (تعليمية تدريجية تركوية) بعنوان (غريب والتعامل العجيب).

- وتُبرز القصة (معالم الخلل المنهاجي) الذي لدى غريب في التعامل والتفاعل والتواصل مع رسالة (مسطورة) أرسلها له (مُعَلِّمُه)، وحاوره بشأنها (والده)، وتحكي لنا القصة بإيجاز (حال غريب) في (التعامل والتفاعل والتواصل) مع ذلك المصدر من مصادر المعرفة النافعة (المغذيات)، فتجسد لنا ما كان لديه من مواطن (الإشكال)، وكذلك ما كان من (الحال)، وما كان ينبغي عليه من (الأقوال والأعمال والأحوال والخلل).

- وتعتبر القصة بمثابة (تثبيت وتعزيز) للفصل الأول، وبمناية (تهيئة وتجهيز) للفصل الخامس.

✍ ويتناول الفصل الخامس (لبيب وغريب ورسائل القريب المجيب) ما ينبغي من (تعامل وتفاعل وتواصل) مع (أحسن وأنفع) رسالة ومصدر معرفة في الوجود (القرآن الكريم)، الرسالة التي أرسلها ربنا سبحانه للعالمين.

- ويحتوي هذا الفصل على (معلومات تفصيلية) تخص (الرسالة القرآنية الربانية)، تخص (مرسلها) سبحانه وبحمده، (والرسول) الذي جاء بها p ، والذين يجب عليهم (استقبالها)، (والأسباب والمقاصد) التي لأجلها تم إرسالها، (ومحتواها ومضمونها)، وكيفية التعامل معه، والانتفاع به.
- وذلك الفصل (سيثبت ويعزز) - إن شاء الله - البناء المنهجي والاستقامة المنهجية (الجزئية) التي تمت في الفصول السابقة له، (وسيمهد ويجهز) - إن شاء الله - للتطبيق في سماء البناء المنهجي والاستقامة المنهجية (الكلية) الشاملة الكاملة (تمكيناً، وتحسيناً، وتحصيناً)، فيكفي أنه سيكون (مفتاح الفتح) بين الطفل وبين كتاب الله، حيث أحسن (مصادر ومناهج) الاهتداء والاستواء.

المبحث الثاني: المحور (التشغيلي) لوحدة الرسالة.
المطلب الأول: مكوّنات وحدة الرسالة والأهداف التعليمية لفصولها.

تتكوّن الوحدة من خمسة فصول، تتوزع على محورين:

- 📖 الأول [المحور العام]: ويشتمل على الفصول (من الأول إلى الرابع)، ويتناول الرسالة التواصلية (التعليمية والاجتماعية)، ويركز على البناء المنهجي [العام] (صناعة وصيانة) فيما يتعلق بالتعامل والتواصل والتفاعل مع [كل] مصادر المعرفة وخصوصاً (المستورة).
- 📖 الثاني [المحور الخاص]: ويشتمل على الفصل (الخامس)، ويتناول الرسالة التعليمية الإيمانية وتحديداً (القرآنية)، ويركز على (تنزيل وتفعيل) ما تم تقريره من (البناء المنهجي العام) في (التعامل والتواصل والتفاعل) مع (أهم وأعظم) مصدر من مصادر المعرفة على الإطلاق وهو (القرآن الكريم)؛ بغرض تثبيت وتعزيز ذلك البناء المنهجي، والذي سيعود بالتشديد والتجويد والترشيد على العلاقة بالقرآن.

الفصل الأول: قصة تعليمية تدريجية بعنوان (البيب والتعامل النجيب)

[١] طبيعة الفصل وهدفه الإجمالي:

- 📖 يركز على عرض الحال والمآل (المنشود)، فيما يتعلق بالتعامل مع الرسائل (التواصلية) المختلفة سواء كانت تعليمية إرشادية أو اجتماعية توددية.
- 📖 ويعمل على تأسيس قواعد وأصول الاستقامة المنهجية (العامّة) فيما يتعلق بالتعامل والتواصل والتفاعل مع مصادر المعرفة المستورة والمنظورة.
- 📖 وهذا الفصل بمثابة (التهيئة والتجهيز)، لما يليه من الفصول.

[٢] مكوّنات الفصل وتقسيم محتواه:

- ☞ أولاً: التهيئة والتجهيز: مقدّمة يربّب لبيب فيها بأصدقائه، ويوصيهم ببعض الوصايا، ثمّ يحدثهم عن طبيعة الرسائل.
- ☞ ثانياً: مشاهد القصة (عشر مشاهد مرتبة وجودياً حسب أحداث القصة كل مشهد منها يمثل درساً تعليمياً).
- ☞ ثالثاً: التثبيت والتعزيز: خاتمة تشتمل على: بيان لكيفية الاستفادة المثلى من القصة، وتأكيد على المنهج الأكمل للتعامل معها، وأسئلة تفكرية تقاغلية تعين على كمال الانتفاع بالقصة.

الفصل الثاني: أركان الرسالة.

[١] طبيعة الفصل وهدفه الإجمالي:

- يركز على تمكين التعريف بمكوّنات أو أركان الرسائل الخمسة (المُرسل - المُستقبل - المُوصِل أو المُبْعوث - المُقصد - المُحتوى)، ولا يختص التعريف بنوع من أنواع الرسائل، وإنما يبيّن تعريفات عامّة لأركان الرسائل التواصلية المختلفة سواء كانت تعليمية إرشادية أو اجتماعية توددية.

وَيَتِمُّ اسْتِعْمَالُ مَا جَاءَ فِي قِصَّةِ (لَبِيبِ وَالتَّعَامُلِ الْعَجِيبِ) فِي تَعْرِيزِ تَمْكِينِ التَّعْرِيفِ الْعَامِّ بِمُكُونَاتِ وَأَرْكَانِ الرِّسَالَةِ الْخَمْسَةِ، كَمَا يَتِمُّ اسْتِعْمَالُ امْتِلَافِ مِنَ الْوَاقِعِ أَيْضًا لِنَفْسِ الْعَرَضِ التَّعْرِيفِيِّ بِالْأَرْكَانِ.

[٢] مُكُونَاتُ الْفَصْلِ وَتَفْسِيمُ مَحْتَوَاهُ: يَتَكُونُ هَذَا الْفَصْلُ مِنْ دَرَسَيْنِ:

- الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: مَعْنَى كَلِمَةِ (أَرْكَانِ): وَفِيهِ يَتِمُّ تَأْسِيسُ وَبِنَاءُ مَفْهُومِ (الْأَرْكَانِ) بِصِفَةِ عَامَّةٍ، سِوَاءِ أَرْكَانِ الرِّسَالَةِ أَوْ أَرْكَانِ غَيْرِهَا، وَيَتِمُّ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قِصَّةٍ قَصِيرَةٍ (قِصَّةِ طَارِقِ وَأَخِيهِ مُوسَى).
 - الدَّرْسُ الثَّانِي: التَّعْرِيفُ (الْعَامُّ) بِأَرْكَانِ الرِّسَالَةِ: وَيَتَكُونُ مِنْ خَمْسِ مَوْضُوعَاتٍ.
- الْفَصْلُ الثَّلَاثُ: وَاجِبَاتُ عَمَلِيَّةِ تَعَلُّقِ بِالرِّسَالَةِ.

[١] طَبِيعَةُ الْفَصْلِ وَهَدَفُهُ الْإِجْمَالِيُّ:

يُرَكِّزُ الْفَصْلُ عَلَى التَّعْرِيفِ بِأُمُورِ (عَمَلِيَّةِ) مَنِهَاجِيَّةٍ مُهِمَّةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِكُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الرِّسَالَةِ، تُعِينُ عَلَى التَّحْصِينِ وَالصِّيَانَةِ الْمُنْهَاجِيِّينَ، وَتَلِكُ الْأُمُورُ بِمِثَابَةِ:

- 📖 تَنْبِيهَاتٍ عَلَى أخطاءٍ وَأَفَاتٍ يَنْبَغِي أَنْ يَنْطَهَرَ الْأَطْفَالُ مِنْهَا.
 - 📖 وَهِيَ أَيْضًا إِشْرَادَاتٌ لِمُمَيَّزَاتٍ وَمَهَارَاتٍ يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّى الْأَطْفَالُ بِهَا.
 - 📖 وَتُرُودُ الْأَطْفَالِ بِمَعَايِيرِ وَقِيَاسَاتٍ تُمَكِّنُهُمْ مِنْ تَقْيِيمِ الرِّسَالَةِ وَالإِنْتِفَاحِ الْأَمْتِلِ بِهَا قَدْرَ الطَّاقَةِ.
 - 📖 وَتُبْصُرِ الْأَطْفَالِ وَتَعْمُقِهِمْ مِنْ صُورِ الإِنْجِرَافِ وَالتَّطَرُّفِ الْخَطِيرَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ الْمَسْطُورَةِ أَوْ الْمَنْظُورَةِ الَّتِي يَتِمُّ تَقْدِيمُهَا لَهُمْ.
- [٢] مُكُونَاتُ الْفَصْلِ وَتَفْسِيمُ مَحْتَوَاهُ:

- ✍️ أَوَّلًا: التَّهْيِئَةُ وَالتَّجْهِيزُ: عِبَارَةٌ عَنِ مُقَدِّمَةِ عَامَّةٍ تَتَنَاوَلُ (طَبِيعَةَ) تَلِكِ الْوَاجِبَاتِ الْعَمَلِيَّةِ، (وَأَهْدَافَهَا الْمَنِهَاجِيَّةِ)، وَخُصُوصًا تَفْعِيلُ مَا تُطْلَقُ عَلَيْهِ (الْجِمَارِكُ الْمَنِهَاجِيَّةِ) أَوْ (الْمَحَاكِمُ الْمَنِهَاجِيَّةِ).
 - ✍️ ثَانِيًا: الدَّرُوسُ الْخَمْسُ، وَهِيَ مَرْبِئَةٌ طَبَقًا لِتَرْتِيبِ أَرْكَانِ الرِّسَالَةِ الْخَمْسِ.
 - ✍️ ثَالِثًا: التَّنْبِيْهُتُ وَالتَّعْرِيزُ: خَاتِمَةٌ تَنْزِيلِيَّةٌ تَفْتَحُ آفَاقًا تَطْبِيقِيَّةً لِأَنْوَاعٍ أُخْرَى مِنَ الرِّسَالَةِ.
- الْفَصْلُ الرَّابِعُ: قِصَّةٌ تَعْلِيمِيَّةٌ تَدْبِيرِيَّةٌ بِعَنْوَانِ (عَرِيبِ وَالتَّعَامُلِ الْعَجِيبِ)

[١] طَبِيعَةُ الْفَصْلِ وَهَدَفُهُ الْإِجْمَالِيُّ:

يُرَكِّزُ عَلَى عَرْضِ الإِشْكَالِ وَالْحَالِ (الْمَوْجُودِ)، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّعَامُلِ مَعَ الرِّسَالَةِ التَّوَالُفِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ سِوَاءَ كَانَتْ تَعْلِيمِيَّةً إِشْرَادِيَّةً أَوْ اجْتِمَاعِيَّةً تَوَدِّيَّةً.

- 📖 وَبِعَنْتِي بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ بِالتَّعَامُلِ مَعَ (الْمُحْتَوَى أَوْ الْمَضْمُونِ) لِأَهْمِيَّتِهِ الْأَكْبَرِ.
- 📖 وَيَعْمَلُ عَلَى تَكْمِيلِ التَّأَكِيدِ عَلَى (أَهَمِّ) قَوَاعِدِ وَأَسْوَاحِ الإِسْتِقَامَةِ الْمَنِهَاجِيَّةِ (الْعَامَّةِ) فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّعَامُلِ وَالتَّفَاعُلِ مَعَ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ الْمَسْطُورَةِ وَالْمَنْظُورَةِ.
- 📖 وَهَذَا الْفَصْلُ بِمِثَابَةِ (التَّنْبِيْهُتِ وَالتَّعْرِيزِ)، لِكُلِّ مَا سَبَقَهُ مِنَ الْفُصُولِ.

[٢] مُكُونَاتُ الْفَصْلِ وَتَفْسِيمُ مَحْتَوَاهُ:

- ✍️ أَوَّلًا: التَّهْيِئَةُ وَالتَّجْهِيزُ: عِبَارَةٌ عَنِ مُقَدِّمَةِ يُرَحَّبُ لِبِيبِ فِيهَا بِأَصْدِقَائِهِ، وَبُوصِيهِمْ بِبَعْضِ الْوَصَايَا، وَيَذَكِّرُهُمْ بِمَضْمُونِ الْفُصُولِ السَّابِقَةِ، وَيُسَوِّفُهُمْ لِقِصَّةِ (عَرِيبِ).
- ✍️ ثَانِيًا: مَشَاهِدُ الْقِصَّةِ: وَهِيَ مَرْبِئَةٌ وَجُودِيَّةٌ حَسَبَ أَحْدَاثِ الْقِصَّةِ، وَيُعْتَبَرُ كُلُّ مَشْهَدٍ مِنْهَا (دَرْسًا تَعْلِيمِيًّا).
- ✍️ ثَالِثًا: التَّنْبِيْهُتُ وَالتَّعْرِيزُ: خَاتِمَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى: تَذَكِيرِ بِكَيْفِيَّةِ الإِسْتِفَادَةِ الَّتِي مِنَ الْقِصَّةِ، وَتَأَكِيدُ عَلَى الْمَنِهَاجِ الْأَكْمَلِ لِلتَّعَامُلِ مَعَهَا، وَأَسْئَلَةَ تَفَكُّرِيَّةٍ تَفَاعُلِيَّةٍ تُعِينُ عَلَى كَمَالِ الإِنْتِفَاحِ بِالْقِصَّةِ، وَمُحَاوَلَةِ فَتْحِ آفَاقِ تَطْبِيقِيَّةِ

بِتَنْزِيلِ مَا تَمَّ تَعَلُّمُهُ فِي الْفِصَّةِ عَلَى نَوْعِ آخَرَ مِنَ الرِّسَائِلِ، وَتَذْكِيرِ بِأَخْطَاءِ (غَرِيبٍ) فِي صُورَةِ نِقَاطِ مُحَدَّدَةٍ، وَتَشْوِيقِ لِلْفَصْلِ الْخَامِسِ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَبَيَانِ عِلَاقَةِ الْفُصُولِ جَمِيعًا بَعْضُهَا.
الفصل الخامس: (لَبِيبٌ وَغَرِيبٌ وَرِسَائِلُ الْقَرِيبِ الْمُجِيبِ)

[١] طَبِيعَةُ الْفَصْلِ وَهَدَفُهُ الْإِجْمَالِيُّ:

يَعْمَلُ عَلَى تَعْرِيزِ وَتَثْبِيتِ الْأِسْتِقَامَةِ الْمُنْهَاجِيَّةِ (الْعَامَّةِ) فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّعَامُلِ وَالتَّوَاصُلِ وَالتَّفَاعُلِ مَعَ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ الْمَسْطُورَةِ وَالْمَنْظُورَةِ.

وَيَعْمَلُ عَلَى بِنَاءِ الْإِسْتِقَامَةِ الْمُنْهَاجِيَّةِ (الْخَاصَّةِ) فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّعَامُلِ وَالتَّوَاصُلِ وَالتَّفَاعُلِ مَعَ (الْقُرْآنِ) كَأَعْظَمِ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ الْمَسْطُورَةِ.

[٢] مَكُونَاتُ الْفَصْلِ وَتَقْسِيمُ مُحْتَوَاهُ:

- أَوَّلًا: التَّهْيِئَةُ وَالتَّجْهِيزُ: وَتَشْتَمِلُ عَلَى حَدِيثٍ حَوْلَ: الْعَبْرِ مِنْ قِصَّتِي (لَبِيبٍ) وَ(غَرِيبٍ)، وَتَعْرِيفِ الْقُرْآنِ.
- ثَانِيًا: عَشْرَةُ دُرُوسٍ تَمَّ تَقْسِيمُهَا لِثَلَاثِ مَجْمُوعَاتٍ، وَدَاخِلِ الدَّرُوسِ مَوْضُوعَاتٌ.
- الْمَجْمُوعَةُ الْأُولَى: أَرْكَانُ الرِّسَالَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

• الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الْمُرْسَلُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ مَوْضُوعَاتٍ.

• الدَّرْسُ الثَّانِي: الرِّسُولُ أَوْ الْمُبْعُوثُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ مَوْضُوعَاتٍ.

• الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: الْمُسْتَقْبَلُ أَوْ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى مَوْضُوعَيْنِ.

• الدَّرْسُ الرَّابِعُ: الْمَقْصِدُ أَوْ السَّبَبُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَوْضُوعَاتٍ.

• الدَّرْسُ الْخَامِسُ: الْمُحْتَوَى أَوْ الْمَضْمُونُ. (الْمَعَانِي وَالْمَبَانِي).

• الْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَّةُ: الْخَصَائِصُ الْفَرِيدَةُ لِلرِّسَالَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

• الدَّرْسُ السَّادِسُ: لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ رِسَالَةٌ).

• الدَّرْسُ السَّابِعُ: أَحْسَنُ الْحَدِيثِ (الْأَعْظَمُ وَالْأَكْمَلُ وَالْأَجْمَلُ)

• الْمَجْمُوعَةُ الثَّلَاثَةُ: وَاجِبُنَا نَجَاهُ الرِّسَالَةِ الْقُرْآنِيَّةِ (حُقُوقُهَا عَلَيْنَا).

• الدَّرْسُ الثَّامِنُ: الْوَاجِبَاتُ الَّتِي تَخُصُّ (مَعَانِي) الْقُرْآنِ فَقَطُّ [حُقُوقُ الْمَعَانِي]

• الدَّرْسُ التَّاسِعُ: الْوَاجِبَاتُ الَّتِي تَخُصُّ (مَبَانِي) الْقُرْآنِ فَقَطُّ [حُقُوقُ الْمَبَانِي]

• الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: الْوَاجِبَاتُ الَّتِي تَخُصُّ (مَعَانِي وَمَبَانِي) الْقُرْآنِ [حُقُوقُ لِمَعَانِي وَالْمَبَانِي]

• ثَالِثًا: التَّنْبِيْهُ وَالتَّعْرِيزُ: وَيَشْتَمِلُ عَلَى حَدِيثٍ حَوْلَ: مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ، وَبَعْضِ الْوَاجِبَاتِ الْعَمَلِيَّةِ التَّطْبِيقِيَّةِ.

المطلب الثاني: الأسلوب والنظام التعليمي المعتمد في وحدة الرسالة.

أولاً: أبرز معالم البناء والتصميم.

تَمَّ بِنَاءُ الْوَحْدَةِ بِمُنْهَاجٍ فَصْصِيٍّ تَعْلِيمِيٍّ هَادِفٍ، ارْتَكَزَ عَلَى أُسُولٍ مِنْهَاجِيَّةٍ عَاصِمَةٍ، وَقَوَاعِدَ بِنَائِيَّةٍ حَاكِمَةٍ، وَرَاعَى مَا يَنْبَسِبُ خُصُوصِيَّةَ الطُّفْلِ، وَبَلَّبَى اِحْتِيَاجَاتِهِ فِي هَذَا الْبَابِ الْمُهْمِ، وَلَقَدْ تَمَّ فِي هَذِهِ الْوَحْدَةِ اسْتِعْمَالُ (الْقِصَّةِ التَّدْبِيرِيَّةِ التَّرْكَوْبِيَّةِ)، وَهِيَ أَحَدُ أَنْوَاعِ الْقِصَصِ التَّعْلِيمِيِّ التَّرْكَوْبِيِّ الْهَادِفِ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ مِنْهَجُ الْمُتَدَبِّرِ الصَّعْبِيرِ، وَالَّذِي يُحَقِّقُ مَقَاصِدَ تَجْهِيزِيَّةٍ وَتَعْرِيزِيَّةٍ لِلْمَفَاهِيمِ الْمُنْهَاجِيَّةِ وَالسَّلْوَكِيَّةِ، وَالْمَهَارَاتِ التَّرْكَوْبِيَّةِ، وَيَرْبِطُ الْحَقَائِقَ الْقُرْآنِيَّةَ بِالْحَيَاةِ الْوَاقِعِيَّةِ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ التَّفْهِيمِ وَإِنَّمَا يَتَجَاوَزُهَا لِلتَّدْبِيرِ وَالتَّطْبِيقِ.

ثانياً: أبرز معالم التدريس والتقديم.

تم اعتماد أسلوب التعليم (التطبيقي) التفاعلي؛ الذي يهدف للجمع بين العلم والعمل، والدراية والرعاية، والوعي والسعي، والفهم والعزم، والتبصر والتصبر، وحسن التقني والاستماع مع حسن التنفيذ والاتباع.

ويتم التركيزُ على التَّعليمِ النَّسَبِيّ؛ والتَّعليمِ التَّعاوُنِيّ؛ وورشِ العَمَلِ؛ والعَصْفِ الدَّهْنِيّ؛ وغيرها من استراتيجياتِ التَّعليمِ النَّفاعِلِيّ النَّسَبِيّ، معَ الحِرْصِ على أكبرِ اسْتِفاَدَةٍ مِنَ الوَسائِلِ التَّكْنُولُوجِيَّةِ الحَدِيثَةِ المُباحةِ. وتم التأكيد على ضرورة أن يُشاركَ الطُّفْلُ في العَمَلِيَّةِ التَّعليمِيَّةِ مُشاركَةً فَعَالَةً حَقِيقِيَّةً؛ لِأَنَّنا نَهْدِفُ لِتَغْرِيزِ مَهَارَاتِ القُرْأَةِ النَّفْكَرِيَّةِ، وبناءِ المَهَارَاتِ المُنْهَاجِيَّةِ المُساعِدَةِ على التَّعامُلِ الأَمثَلِ معَ كُلِّ مَصادِرِ المَعْرِفَةِ. وتتميزُ وَحْدَةُ الرِّسَالَةِ بأنَّه يُمكنُ أن يَنْتَوِعَ تَرْتيبُ تَدْرِيسِ فُصولِها طَبَقاً لِتَنوعِ المَقاصِدِ والمُؤسَّساتِ، وتَجَدُّرُ الإِشْارَةِ إلى أنَّ مُستوى وطَريقَةَ التَّدْرِيسِ (إِجمالاً وَتَفْصيلاً)، والتَّركِيزُ على فُصولِ بَعْينِها، يَخْتَلِفُ بِشَكْلِ واضِحٍ في مَرَحَلَتِي ما قَبْلَ (السَّابِغَةِ) وما بَعْدَ (العَاشِرَةِ) عَنِ المَرَحَلَةِ الأَساسِيَّةِ (مِنَ السَّابِغَةِ إلى العَاشِرَةِ). كما تَتَميِزُ بِوجودِ مُستوياتٍ لِتَدْرِيسِها؛ أبرزها: مُستوى (الدَّرَاجَةِ الجَماهيرِيَّةِ) في البُيُوتاتِ والمُؤسَّساتِ (غَيرِ المُتَخَصِّصَةِ)، ومُستوى (الدَّرَاجَةِ المُؤسَّساتِيَّةِ) في المُؤسَّساتِ (غَيرِ المُتَخَصِّصَةِ)، ومُستوى (الدَّرَاجَةِ التَّخَصُّصِيَّةِ) في المُؤسَّساتِ (المُعْتَمَدَةِ والمُتَخَصِّصَةِ)، ومُستوى (الرِّعايَةِ التَّخَصُّصِيَّةِ) في المُؤسَّساتِ (المُعْتَمَدَةِ والمُتَخَصِّصَةِ). اجْتَهَدنا في إِخْراجِ وَحْدَةِ الرِّسَالَةِ في مُعْظَمِ القَوالبِ التَّعليمِيَّةِ المُتاحَةِ حاليّاً، والمُلبِّيَةِ لمُعْظَمِ ما تَمَسُّ الحَاجَةُ لَه تَعليميّاً، وَيَحْقُوقُ التَّكاملَ، كالنَّسخَةِ (الجَماهيرِيَّةِ)، والنَّسخَةِ (المُدْرَسِيَّةِ)، وكتابِ الأَنْتِيطَةِ، ودَليلِ المُعَلِّمَةِ، ودَليلِ وِلْيِ الأَمْرِ، والدَليلِ التَّشْغِيلِيّ (الجَماهيرِيّ) لِتَدْرِيسِ وَحْدَةِ (الرِّسَالَةِ)، وأفلامَ وَمَقاطِعَ كَرْتُونِيَّةٍ، وأفلامَ وَمَقاطِعَ دَرامِيَّةٍ، وأَلْغابِ تَعليمِيَّةٍ، وأَناشيدِ وَأَراجيزِ، ولا زلنا نَعْمَلُ على إِخْراجِ الوَحْدَةِ بما هُوَ أَكْمَلُ وَأَجْمَلُ وَأَشْمَلُ بِإِذْنِ الله تَعالَى.

ثالثاً: أبرز معالم التعاهد والتفويم.

نَعْتَمِدُ في آلياتِ التَّفْويْمِ وَوَسائِلِهِ على تَلْكَ النَّيِّ لا تُشْعِرُ الطُّفْلَ بِالعَبْيِيَّةِ والتَّكْلِيفِ؛ ولا تُفْقِرُهُ مِنَ البِيبَةِ التَّعليمِيَّةِ؛ وتُرَكِّزُ أَكْثَرَ على المُلَاحَظَةِ الأَسْرِيَّةِ مِنَ خِلالِ الوالِدِ أو الوالِدَةِ، والمُلَاحَظَةِ الصَّوْبِيَّةِ مِنَ خِلالِ المُعَلِّمَةِ أو المُشْرِفَةِ، وَتَسْتَحْدِمُ وَسائِلَ (غَيرَ مُباشِرَةٍ) لِلتَّفْويْمِ؛ مَدْعُومَةً بِأَدواتِ (تَغْرِيزِ) مُتَنوعَةٍ.

الخاتمة وأبرز النتائج والتوصيات

لقد كانت هذه الدراسة (حصاد سنوات من المكابدة) العلمية والعملية، والتأهيلية والتشغيلية، وخرجت من رحمة المكابدة التي ثورت المشاهدة، ورغم أنها تتناول مسألة (فكرية تأصيلية) إلا أنها لم تكن من قبيل الأطروحات (الفلسفية الجدلية) في الأبراج العاجية، بل كانت (طرحاً عملياً تطبيقياً) يتعيا سد (ثغرات بنائية)، وتلبية (احتياجات تركوية). واني لأرجو أن تكون منطلقاً (مشروع حضاري) يسهم في عودة الأمة للأجداد والرشاد، والأخذ بيد العباد إلى منهاج الهدى والساد؛ لذا أرجو أن تكون الدراسة (دافعاً) للكبار للشرع في بناء أنفسهم منهاجياً، وأرجو أن تكون نواة لمزيد من المبادرات لبناء كل الطلبة والطالبات، فأسأل الله أن يبلغنا بنوايانا وآمالنا، ما لم نبلغه بجهودنا وأعمالنا.

أبرز النتائج:

(١) البناء المنهجي للطفل هو عملية "بناء المنهاج المُعين على (أحسن) تعامل وتواصل وتفاعل مع (مصادر المعرفة) المسطورة والمنظورة، النافعة والضارة، داخل المؤسسة التعليمية وخارجها"، وَيَلْتَقِي بما يُسمَى (عادات العقل) في قِطاعاتٍ مِنْهُ؛ لكن المنهاج أمر أبعد وأعمق من مجرد اكتساب مجموعة مفاهيم أو مهارات أو اتجاهات؛ إنه (نظام) حاكم (ومنظومة) شاملة متكاملة من الأصول والقواعد التي تتجلى في صورة (طريقة) سليمة مستقيمة للسير في (طريق) المعرفة أو التعلم، وتشتمل تلك الطريقة على خبرات (مفاهيم ومهارات واتجاهات) تم بناؤها (بنظام وإحكام).

(٢) البناء المنهجي هو عملية تركوية يتم فيها الانطلاق من أصول وقواعد عملية البناء الإنساني، ويكون (ميدان) تلك العملية هو (منهاج الإنسان) من ناحية منظوماته وأدواته، ومفاهيمه ومهاراته، ومُهمَّاتِه ومُتمَّاتِه؛ وتهدف

إلى صيانة السواء وصناعة الاستواء الذي يعين على اكتساب (الخبرات والأدوات والمفاهيم والمهارات) اللازمة لأحسن تعامل وتفاعل مع المغذيات (ارتواءً واستمداداً) والمؤذيات (اتقاءً وإبعاداً).

(٣) الفارق الأكبر بين البناء المنهجي (السليم والسقيم) هو درجة (الاستقامة المنهجية) التي تعتبر بمثابة (المعيار) الأهم (والغاية) الأعظم للبناء المنهجي (السليم)، والاستقامة (استقرار واستمرار)، وإقامة وإدامة أو إتمام ودوام، وهي (اهتداءً واستواء)، ومن أهم ثمرات الاستقامة أنها تمنح البناء المنهجي قدراً عالياً من (الصلابة والسمود) في مواجهة الفتن والمحن، لا تتزلزل أصول أركانه أو تخفت أنوار إيقانه مع مرور الزمن.

(٤) البناء المنهجي من أهم وأخطر محاور بناء الأطفال؛ لأنه بمثابة (الأساس والنبراس) لغيره، ورغم ذلك فهناك إهمال - وربما إغفال - لبناء الطفل (منهجياً)، وإن نجونا من فح الغياب والإهمال أو الإغفال وقعنا في شباك الاضطراب والخلل في الاشتغال، فالكثير من محاولات ومجهودات العناية (ببعض) معالم البناء المنهجي للطفل؛ (متفرقة)، (وغير ممنهجة)، ودون المستوى المنشود (كماً وكيفاً).

(٥) الإشكاليات المتعلقة بالبناء المنهجي للطفل تصل في تجلياتها وامتداداتها لمعظم ميادين حياة الأطفال الإيمانية والعمرانية؛ وتؤثر على (البنية التحتية) والجذور التكوينية؛ لأن الخلل فيها أشبه بالخلل في الجهاز العصبي (المركزي) الحاكم والضابط للجهاز العصبي (الطرفي) وللجسم كله.

(٦) القرآن هو (أحسن) مصادر الإحياء، والشفاء، والبناء، والاهتداء، والارتقاء، ويهدي - في كل الميادين - للتي هي أقوم؛ ويأخذ بناصية كل إنسان لما هو أسلم وأحكم؛ لذا فإنه (أحسن مصادر ووسائل وأدوات) البناء المنهجي للطفل (صيانةً وصناعةً)، وهذه القضية ليست مسألة نظرية أو فلسفية، بل مسألة (وجودية مصيرية)، ترتبط ارتباطاً وثيقاً (بالبهوية والخصوصية)، ولها العديد من الانعكاسات والامتدادات (الواقعية والحضارية)، وهذه القضية (فرقانية) بين الرؤية الإسلامية وغير الإسلامية (لاسيما العلمانية والليبرالية)، بل فرقانية بين العديد من المنسويين للرؤية الإسلامية.

(٧) قَدَّمَ القرآن نماذج بنائية منظورة (تقدت) ببلوغها الغاية في (الصحة والصلاحية، والأمان والاتزان)؛ وتتنوع تنوعاً استوعب كل التباينات والاختلافات الحاصلة في العمليات البنائية، ولم يقتصر الوحي على تقديم تلك (النماذج المنظورة)، بل أرشد إلى منهاج التعامل معها والانتفاع بها؛ فأوصى بالمنهاج (التفكري الاعتباري)، وأرشد إلى أن ذلك المنهاج التفكري الاعتباري (المنشود) ينبغي أن يكون من النوع (التعقلي).

(٨) أحسن منهاج للبناء المنهجي هو منهاج الريانية (منهاج النبوة - منهاج العلم والعمل)؛ والذي أوصانا ربنا سبحانه به في قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} [العلق: ١]، وقوله تعالى: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ} [آل عمران: ٧٩]، والذي يستلزم الريانية على مستويين: الأول: المقصد والوجهة والنية، والثاني: الطريقة والمنسك والمنهجية.

(٩) ينبغي أن ننقته إلى أن الأهم هو اكتساب (مفاهيم ومهارات وأدوات وخبرات) التعامل والتواصل والتفاعل مع المغذيات (وسائل ومصادر المعرفة النافعة)؛ لأنها هي التي ستزود الطفل بما يعينه على (إبعاد المؤذيات) والتحصن منها، فالمغذيات هي (أنفع وأوقع) ما تندفع به المؤذيات، (والصناعة) هي الأداة الأهم (للصيانة).

(١٠) أول ما ينبغي الشروع فيه من (الصناعة والصيانة) المنهجية هو ذلك المتعلق (بأصول) إقامة (كتاب الله) على منهاج رسول الله ﷺ (علماً وعملاً)، وإقامة (الصلاة) التي أرادها الله (إعظماً وإتماماً ودواماً)؛ لأنهما رغم أنهما في هذه المرحلة يعتبران (ثمرة وغاية)؛ لكنهما سيكونان (أحسن شجرة وبداية) لكل ما يأتي بعد ذلك من (معالم الاستقامة المنهجية الكاملة الشاملة)، فهما أهم (أداتين ووسيلتين) على الإطلاق للبناء المنهجي؛ كما أنهما أهم (معياريين ومقياسيين) لسلامته واستقامته؛ لأن كل تحسن في

الاستقامة المنهاجية ينبغي أن ينعكس في مرآتهما، ويعود عليهما بالتحسين.

أبرز التوصيات:

- (١) الكلام عن (البناء المنهاجي) يبدو غريباً للبعض، وقد يبدو للبعض الآخر ضرباً من (التفلسف والفسفطة)، فأعذرهم جميعاً مؤقتاً، ولا أريد منهم أكثر من أن يخوضوا غمار تجربة (البناء المنهاجي) للطفل من خلاله (وحدة الرسالة)، بأنفسهم أو من خلال المتخصصين في ذلك، وإني لأرجو أن يستبين (الآباء والأمهات والمعلمون والمعلمات) بعد ذلك أهمية (البناء المنهاجي) للطفل ودوره في (تحسين تعليمه وتزكيته)، وحل مشكلاته البنائية المختلفة، بل أرجو أن يستبينوا أهمية (البناء المنهاجي) لهم ككبار، فيشرعوا في بناء (أنفسهم) منهاجياً.
- (٢) إن إصلاح (النفوس) من أكثر ما يعين على إصلاح (الغير)؛ لذا أهيب بالذين ينشدون بناء (غيرهم) أن يعتنوا قبل ذلك - أو على الأقل بالتوازي معه - ببناء (أنفسهم)؛ فالعملية البنائية ليست (تمثيلية أو مسرحية)، وليست عملية (مادية آلية)، بل هي عملية (حيوية)، تتأثر مخرجاتها - بل وعملياتها - بروح (البنائي) التي تسري فيها وتظلها، وبحالته (القلبية) التي تُركِّي إخلاصه وصدقه ودافعيته، وإن أولئك الذين يعملون بما يدعون الناس إليه، أقرب للتوفيق، والهداية لأحسن طريق، من أولئك الذين لا يعملون.
- (٣) ينبغي أن يكون (الوحي) هو (المصدر) الأول الذي (نرجع ونتحاكم) إليه (وننتقل) منه فيما يخص كل (أصول وتفاصيل)، (وحقائق ودقائق)، (ومفاهيم ومهارات)، (ومعالم ولوازم) بناء الأطفال؛ ولا يكتمل (الانتفاع والاستمتاع) بالوحي إلا بالتعامل معه بمنهاج (توحيدي) يتجلى فيه (الاستكفاء والاستغناء) به عما سواه بلا أدنى (تردد أو شك)، يتعانق مع (نقاء الاستقاء) منه بلا أدنى (خلط أو شرك)، يتعانق مع تمام (الاستقصاء والاستقراء) لما جاء فيه بلا أدنى (انتقاء أو ترك)، ولا بد أن نصرف له ما يستحقه من (الحاكمية)، وندرك قدره وموقعه من حيث (درجة المشروعية)، فننتعامل مع ما جاء فيه على أنه (للإلزام) لا لمجرد (الإعلام)، وعلى أنه (أساس فوق الراس) وليس لمجرد (الاستئناس).
- (٤) ينبغي أن تكون المصادر الربانية (حاكمة لا محكومة) أما المصادر الإنسانية فلا بد أن تكون (خادمة لا مخدمة)، فلا يمكن أن نأخذ كل ما جاء في المصادر الإنسانية (بالكلية)؛ لأن بها العديد من (الإشكالات المنهاجية)، أبرزها المحدودية، والغياب أو الاضطراب في الأمان والالتزان والصحة والصلاحية، فمرحباً (ببعض) ما جاء في المصادر (الإنسانية)، لكن شريطةً (ألا يتعارض) مع شيء مما جاء في المصادر (الربانية)، وأن يراعي ما تتمتع به من (خصوصية)، وأن تكون له (فائدة خادمة داعمة) لأصولها الحاكمة الناظمة.
- (٥) نماذج الوحي البنائية المنظورة هي الأحق والأولى بأن تكون (المصدر) الذي (نرجع ونتحاكم) إليه، (وننتقل) منه في كل ما يخص (أصول وتفاصيل)، (وحقائق ودقائق)، (ومفاهيم ومهارات)، (ومعالم ولوازم) بناء الأطفال، كما ينبغي أن تكون تلك النماذج بمثابة الأساس، والنبراس، والتاج على الراس؛ (فالأساس) في (الابتداء)، (والنبراس) في (الاستواء)، (والتاج الذي على الراس) في (الانتهاء)، وأقصد (بالأساس) أن نبدأ بها وننتقل منها، أما (النبراس) فأقصد به أن نستتير بها حتى يحصل الاستواء من الابتداء حتى الانتهاء، أما (التاج الذي على الراس) فأقصد به أن نتمكن من الوصول إلى أبعد نقطة ممكنة من الأحسنية (كماًلاً وجماًلاً) التي تجعلنا (نتزین ونتحلى) بهدايات ومنهجيات تلك النماذج كالتاج على الراس.

(٦) ينبغي أن يتم التعامل مع نماذج الوحي البنائية المنظورة بالمنهاج (التفكري الاعتباري)؛ لذا ينبغي أن نقلها فهماً وإدراكاً وضبطاً وإمساكاً، ونصرف لها ما تستحقه من (التحليل والتعليل)، لنظفر بأروع ما يمكن الوصول إليه من (الحلول) التي تستحق أن نصرف لها ما تستحقه من (التنزيل والتفعيل).

المصادر والمراجع

- (١) الأدب المفرد، البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- (٢) أساس البلاغة، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- (٤) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- (٥) تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٦) تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- (٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢؛ ١٤٢٠ هـ.
- (٨) تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١؛ ١٤١٠ هـ.
- (٩) تفسير الماوردي = النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
- (١٠) تهذيب اللغة، الأزهرى: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- (١١) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- (١٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١؛ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (١٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٥١٤ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٠١١ هـ.

- (١٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله μ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة، ط١؛ ١٤٢٢هـ.
- (١٥) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢؛ ١٣٨٤هـ.
- (١٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٨١١ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- (١٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- (١٨) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١- ١٤٢٢هـ.
- (١٩) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧؛ ١٤١٥هـ.
- (٢٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٠١٤ هـ)، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
- (٢١) سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٩٠ م.
- (٢٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ "الكاشف عن حقائق السنن"، الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- (٢٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- (٢٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣.
- (٢٥) صحيح الترغيب والترهيب، الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف - الرياض، ط٥.
- (٢٦) صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.
- (٢٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- (٢٨) فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، دار ابن كثير - دمشق، بيروت، ط١- ١٤١٤هـ.
- (٢٩) الفوائد، ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢؛ ١٣٩٣هـ.

- (٣٠) كتاب التعريفات، الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٣١) كتاب العين، الخليل: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- (٣٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: محمد بن علي بن القاضي، مكتبة لبنان، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- (٣٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- (٣٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ.
- (٣٥) لسان العرب، ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤هـ.
- (٣٦) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.
- (٣٧) محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤١٨هـ.
- (٣٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١؛ ١٤٢٢هـ.
- (٣٩) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- (٤٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣؛ ١٤١٦هـ.
- (٤١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- (٤٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١؛ ١٤٢١هـ.
- (٤٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٤٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البيهقي: مجيب السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البيهقي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٤٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١؛ ٢٠١٠م.

- (٤٦) معجم الفروق اللغوية، العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- (٤٧) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (٤٨) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
- (٤٩) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، دار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.
- (٥٠) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- (٥١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.